جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

مدينتا القدس والخليل في كتب الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين حتى القرن (العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي)

إعداد

علي عبد الجبار محمد أبو بيح

إشراف

د. محمد عثمان الخطيب

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس –فلسطين.

2023م

مدينتا القدس والخليل في كتب الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين حتى القرن (العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي)

إعداد

علي عبد الجبار محمد أبو بيح

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ 2023/02/15م، وأجيزت.

د. محمد عثمان الخطيب	التوقيع
المشرف الرئيسي	
د. جلال سلامة	التوقيع
الممتحن الخارجي	
د. عامر القبج	التوقيع
الممتحن الداخلي	

الإهداء

إلى روح والدي رحمه الله الذي حفظ كتاب الله في قلبه وعقله وعلمني آياته صغيرًا.

إلى والدتي أطال الله عمرها وبارك في صحتها ودينها، التي ببركة وجودها وعظيم دعائها ينير الله دربي.

إلى عائلتي: زوجتي وأولادي

إلى إخوتي وأخواتي وكلّ من له فضل علي.

الشكر والتقدير

أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى أستاذنا الحبيب ومعلمنا الراقي الأب الطيب الدكتور محمد الخطيب الذي ما رأيت منه إلا كل دعم ورعاية واحترام، والذي لولا نصائحه وتوجيهاته وتعديلاته لما خرجت هذه الرسالة إلى النور بهذا الشكل.

كما أقدم شكري وتقديري إلى أساتذتي في قسم التاريخ الدكتور عدنان ملحم، والدكتور عامر القبَّج، والدكتور أمين أبو بكر، وإلى موظفي مكتبات جامعة النجاح الذين ما بخلوا علينا بالنصح والإرشاد طوال فترة دراستنا في الجامعة، إلى كل من ساندني ودعمني ووقف معي في رحلتي الدراسية ولو بكلمة تشجيع.

الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل عنوان:

مدينتا القدس والخليل في كتب الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين حتى القرن (العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

اسم الطالب: **علي عبد الجبار محمد أبو بيح**

التوقيع:

التاريخ: **2023/02/15**

فهرس المحتويات

الإهداء ..... ج
الشكر والتقدير ..... د
الإقرار ..... هـ
فهرس المحتويات ..... و
الملخص ..... ح
المقدمة 1
تمهيد 2
عرض لأهم المصادر 3
الفصل الأول: الجغرافيا التاريخية والسياسية 22
أولا: الموقع والتسمية 22
ثانيا: التضاريس والمناخ 25
ثالثا: المظهر العام للقدس والخليل 28
رابعا: التبعية الإدارية 30
خامسا: علاقة السلطات الحاكمة بالسكان 33
سادسا: مظاهر اهتمام الحكام والولاة بالقدس والخليل 37
الفصل الثاني: الأوضاع العمرانية 42
أولا: العمران والمنشآت 42
ثانيا: مصادر المياه 66
ثالثا: المستشفيات 72
الفصل الثالث: الأوضاع الاقتصادية 74
أولا: الزراعة 74
ثانيا: الصناعة 82
ثالثا: التجارة 89
رابعا: العملة 94
الفصل الرابع: الأوضاع الثقافية والاجتماعية 97
أولا: الأوضاع الثقافية 97
المساجد 97
الزوايا والأربطة 100
المدارس 104

العلماء والفضلاء 107
ثانيا: الأوضاع الاجتماعية 109
السكان 109
الأوضاع المعيشية 111
الخاتمة 114
قائمة المصادر والمراجع العلمية 116
Abstract ..... B

مدينتا القدس والخليل في كتب الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين حتى القرن (العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي)

إعداد

علي عبد الجبار محمد أبو بيح

إشرافُ

د. محمد عثمان الخطيب

الملخص

تسلّط هذه الدراسة الضوء على مدينتي القدس والخليل في كتب الرَّحَّالة والجغرافيين العرب والمسلمين حتى (ق10هـ/16م). وتعتبر هاتان المدينتان مرتفعتي التضاريس، وقد تعرضتا لنفس الظروف التاريخية إداريا واقتصاديا، وكان الاهتمام بالقدس من قبل الحكام أكثر من اهتمامهم بالخليل لمركزية القدس ووجود الأماكن المقدسة المتنوعة فيها، وقد تذبذبت علاقة سكان القدس والخليل بحكامهما حسب سياسة أولئك الحكام واتجاهاتهم الدينية، وقد احتوت المدينتان وخاصة القدس على الكثير من المنشآت والآثار من مختلف الحقب التي مرت عليها، وتعتبر مصادر المياه والطرق والمنشآت من أبرز المظاهر الحضارية في القدس والخليل.

زرع أهالي القدس والخليل الكثير من المزروعات المتنوعة إضافة إلى البساتين المنتشرة في أرجائهما والتي تحتوي مختلف الأصناف، وانتشرت في القدس والخليل الصناعات المختلفة، وكانت الحركة التجارية نشطة في أسواقهما وعلى الطرق المؤدية إليهما، وكانت البضائع تنقل إليهما من كل مكان، وقد اختلفت العملة فيهما باختلاف الحكام المتناوبين على حكمهما، وانتشرت فيهما المساجد والزوايا والأربطة، وأقام فيهما الكثير من العلماء وطلبة العلم الشرعي، وتنوعت مصادر السكان فيهما نظرا لارتحال الناس إليهما والسكن فيهما.

خلصت هذه الدراسة إلى أنَّ اهتمام الجغرافيين العرب بالقدس والخليل نابع من أهميَّتهما الدينية، وأنَّ ذكرهم للمعالم الإسلامية كان أكثر تفصيلا من المعالم الأخرى، وأنَّ حكام المسلمين اهتموا بالقدس والخليل وحرصوا على إظهار إسلاميتهما ببناء المساجد والمدارس والمستشفيات والزوايا والأربطة. وأشارت الدراسة إلى أنَّ

المصادر الجغرافية لم تفصِّل طبيعة الطرق ومساراتها، واكتفت بذكر المسافات، وتركت كثيرا من الإشارات حول طبيعة الحياة الاقتصادية في القدس والخليل.

الكلمات المفتاحية: القدس، الخليل، الجغرافيين، الرحالة، العرب والمسلمين، القرن العاشر الهجري، القرن السادس عشر الميلادي.

المقدمة

تعتبر مدينتا القدس والخليل من أهم مدن فلسطين وأقدمها، إذ تعاقب على السيطرة عليهما كثير من الأمم خلال الحقب التاريخية، فالإرث الحضاري فيهما حافل بكثير من آثار العصور القديمة، وسجلهما التاريخي يحوي كثيرا من أخبار الأمم السابقة، ما جعلهما مادة لكل باحث يريد البحث في تاريخهما.

تناولت هذه الدراسة مصادر الرحالة العرب والمسلمين الجغرافية في وصفها لمدينتي القدس والخليل، وما هي أبرز الجوانب التي اهتمت بها هذه المصادر.

وعرضت هذه دراسة أهمَّ المصادر الجغرافية التي تغطي المدة التي تتناولها، حيث تناول الفصل الأول الجغرافية التاريخية والسياسية لمدينتي القدس والخليل كالموقع والتسمية والمظهر العام من خلال دراسة موقعهما وتضاريسهما والأماكن المرتبطة بهما كالأودية والجبال والهضاب والعيون. إضافة إلى التبعيَّة الإدارية والسياسية وعلاقة السلطات الحاكمة بالسكان إضافة إلى مظاهر اهتمام الحكام والولاة بالمدينتين.

تطرَّق الفصل الثاني إلى الأوضاع الحضارية كوصف العمران والمنشآت التي احتوتهما هاتين المدينتين ثم مصادر المياه التي تغذيهما وما يرتبط بها من إنشاءات لتسهيل نقلها وجمعها، مع تسليط الضوء على الطرق والمسافات والمستشفيات التي تمثلت بالمستشفى الصَّلاحي الموجود في مدينة القدس.

أمَّا الفصل الثالث فتحدَّثَ عن الأوضاع الاقتصادية كالزراعة التي كانت منتشرة بشكل واسع حول القدس والخليل، وكذلك الصناعة التي انتشرت فيهما وهي ما أظهرته أسواق المدينتين ثم تناول التجارة الداخلية منها والخارجية، وقدم تصوُّرا للعملة المتداولة فيهما.

عرض الفصل الرابع الأوضاع الثقافية والاجتماعية والمؤسسات مثل المساجد كالمسجد الأقصى ومسجد الصخرة والحرم الإبراهيمي في الخليل، وكذلك الزوايا والأربطة والتي كانت مؤسسات اجتماعية وثقافية، إضافة إلى المدارس ودورها في الحياة الثقافية، كما تناول العلماء الذين كان لهم دور في الحياة الثقافية، إضافة إلى السكان وتركيبهم وأوضاعهم المعيشية على مدار الحقب التاريخية المتعاقبة، وخُتمت الدراسة بأهمِّ النتائج.

تمهيد

تقدم البحث الجغرافي في القرن (الرابع الهجري/العاشر الميلادي) تقدما واضحا، فكان البحث في أوضاع الأقاليم والبلدان سببه النهضة العلمية التي ظهرت في القرن (الثالث الهجري/التاسع الميلادي)، ومن الأمثلة على ذلك الكندي(ت256هـ/873م) الذي حملَ لواء العلم اليوناني عند العرب، ثم جاء ابن خرداذبة (ت272هـ/885م) بكتابه المسالك والممالك[1].

ويدلل ذلك على الانفتاح العربي على الحضارات الأخرى وعلومها وأفكارها والبناء عليها دون أي إهمال لها ولنتاجها الحضاري بعد دراسته وتمحيصه والأخذ بمبادئه وأسسه والانطلاق منها إلى ركب الحضارة الجديدة الناشئة.

وبعد فتح العرب بلاد ما وراء النهر[2] والأندلس، اتسعت دولتهم من حدود الهند شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا[3]، وكان لهذا التوسع أكبر الأثر في تشجيع الرحلات الجغرافية داخل الأقطار التي شملتها حدود الدولة الإسلامية، إضافة إلى ما تم الاطّلاع عليه من مصادر بسبب الاحتكاك الحضاري مع الثقافات والحضارات الأخرى المعاصرة.

امتاز جغرافيو (القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي) باعتماد معظمهم في جمع كتاباتهم الجغرافية على المشاهدة والأسفار[4]، فقد مثلت تلك الفترة دور النضج في الجغرافية العربية والإسلامية واستمر هذا الدور فيما بعد لفترة لا يُستهانُ بها[5].

---

[1] متز، ص7.

[2] **بلاد ما وراء النهر**: تسمية أطلقها المسلمون على الأقاليم الواقعة شمال نهر جيحون، أي وراءه، وسماها العرب أيضا بلاد الهيطل نسبة للهياطلة الذين سكنوها في المائة الخامسة للميلاد، وتقسم إلى خمسة أقاليم، وهي: الصُغد، وخوارزم، والصّغانيان، وفرغانة، وطشقند. شتيت، ص5-6.

[3] زيادة، ص12.

[4] حسن، ص35

[5] زيادة، ص12.

يقول "كلوزييه" في كتابه "تطور الفكر الجغرافي": "كان العرب يتمتعون بأفضل الشروط لارتياد مجال العالم القديم التقليدي وكشفه، فكان منهم عددا من أفذاذ الجغرافيين والرحالة، وأشهرهم اثنان من المغاربة هما الإدريسي(ت559هـ/1166م) وابن بطوطة(ت779هـ/1377م)، فقد ظل ابن بطوطة خلال (32) سنة من حياته رحالة لا يعرف التعب، فقد رحل إلى مصر وجزيرة العرب وبلاد الشام وروسيا والعراق وإيران وأفغانستان والهند والصين وأفريقيا وتمبكتو[1]، ويظهر نص هذه الرحلات غنيا بالملاحظات والأخبار الشخصية لا سيَّما وصف المجتمع الإسلامي". [2]

يُعدُّ وصف الأبنية والعمارات أحد الأغراض الرئيسة في كتب الرحالة، والذي يسعى دائماً لعرض أوصافٍ كثيرة ودقيقة عن الأمكنة التي مرَّ بها طيلة رحلته، كالأبنية والعمارات التي يشاهدها لكنّه عادة لا يتوقف عند جميع الأمكنة بل يختار ما استرعى انتباهه وأثار إعجابه[3]. وهذا يفسر لنا اهتمام بعض الجغرافيين بجانب دون غيره إذ نجد احتواء بعض المصادر الجغرافية على معلومات اقتصادية دون غيرها وبعضها يصف العمران بدقة واستطراد.

عرض لأهم المصادر

اعتمد الباحث في دراسته على المصادر الجغرافية باعتبارها سجلات حيَّة لتلك الفترات، إذ قام أصحابها بزيارة الأماكن التي تحدثوا عنها وسجلوا كل ما شاهدوه جغرافيا وحضاريا واقتصاديا وسياسيا واجتماعيا. وهذا عرض لأهم المصادر الجغرافية التي أفادت هذه الدراسة:

[1] **تمبكتو**: مدينة في شمال مالي، غرب أفريقيا. سُميت قديماً تنبكت، وتلقب بجوهرة الصحراء وهي بوابة بين شمال وغرب أفريقيا، وملتقى القوافل البرية للقادمين من النيجر وليبيا، أنجبت عددا من الفقهاء والعلماء، وازدهرت فيها الحركة الثقافية وتعتبر حاضنة الإسلام في الصحراء الكبرى ومنارة للعلم وسكانها جميعهم مسلمون. السعدي، ص20

[2] كلوزييه، ص48

[3] مسبوق ودلشاد، ص80

1. **"أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"** لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البنَاء الشامي المقدسي[1] المعروف بالبشاري[2]، ولد عام(335هـ/946م)، أما أسرة أمه فتنتمي إلى قرية من أعمال قومس[3]على مقربة من حدود خراسان[4]، نشأ في الشَّام، ألَّف كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم عام(375هـ/985م)، وهو ابن أربعين سنة[5]، وقد دفعه ولعه بالأسفار إلى زيارة كثير من أنحاء العالم الإسلامي[6،7].

تلقى المقدسي العلوم والمعارف على يد العلماء والفقهاء، وكان مولعا بعلم الجغرافيا، وكان يقيم في بعض البلاد سنة كاملة وفي بعضها الآخر أيامًا ليكتب مشاهداته وينقل عمن كان يثق به، وكان خلال رحلته يتصل بجميع طبقات المجتمع من عامة الناس إلى التيارات المختلفة والحكماء والأمراء وغيرهم، وكان يعيش المتناقضات في سفره، ويقع في المشكلات كصعوبة المعيشة واضطراره للقيام بالأعمال الشاقة من أجل توفير لقمة العيش وأحيانا التقرب إلى الأمراء والعمل في إمامة المساجد وغيرها ولكنه رغم كل ظروفه لم يكن ينشغل عن التدوين وتسجيل مشاهداته[8].

جمع المقدسي مادَّة كتابه بعد جولات عديدة في البلدان والأقاليم ولقاءاته بالعلماء وخدمته للملوك ومجالسته للقضاة، ودروسه على الفقهاء وكَتبةِ الحديث ومخالطته الزهَّاد والمتصوفين وحضوره مجالس القُصَّاص، مع

---

[1] كراتشوفسكي، 209/1.

[2] حسن، ص42.

[3] قومس: كورةى(مقاطعة) كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع، تقع في ذيل جبال طبرستان بين الري ونيسابور في بلاد فارس، قصبتهاى(عاصمتها) دامغان. الحموي، 470/4.

[4] خراسان: تشمل حاليا شمال غرب أفغانستان وأجزاء من جنوب تركمانستان، إضافة لمقاطعة خراسان الحالية في إيران. أما تاريخيا فيساير أرضها من الشرق نهر جيحون، وتسمى أيضا بلاد التركمان. من أهم مدنها نيسابور وهراة ومرو وبلخ، فتحت أكثر بلادها عنوة وصلحا سنة(31هـ/651م) في أيام عثمان بن عفان –رضي الله عنه. الحموي، 401/2، شاكر، ص6–7.

[5] المقدسي، (ت381هـ/991م)، المقدمة (د.ص).

[6] **السند:** (حاليا مقاطعة باكستانية) بلاد بين بلاد الهند وكرمان وسجستان، قصبتها يقال لها المنصورة، ومن مدنها "ديبل" فتحت أيام الحجاج بن يوسف أهلها على مذهب أبي حنيفة. الحموي، 303/3.

[7] كراتشوفسكي، 209/1.

[8] المقدسي، مقدمة الناشر، (د.ص).

لزومه للتجارة في كلِّ بلد من البلاد التي وصلها[1]. وحديثه عن لزوم التجارة دليل على استغلاله زياراته للبلدان في أكثر من غرض، فهو يحتاج للتمويل المالي من أجل رحلته وهذا يدفعه إلى ممارسة التجارة لضمان استمراريته وسدِّ احتياجاته.

كان المقدسي يتنكَّر في رحلاته ويغير اسمه ويدخل في الطوائف المختلفة كي يستطيع دراسة بيئاتها ومعرفة عاداتها وأحوالها، وكان دقيق الملاحظة أثناء الرحلات والمشاهدات باحثا ناقدا متحرّيًا لكل ما ينقل، معتنيا بالأخبار الطريفة والعادات الغريبة[2]، ويبدو أن سبب تنكره عائد إلى التناقضات الفكرية التي كانت سائدةً في تلك الفترة والصراعات المذهبية والطائفية التي كانت تحكم العلاقة حتَّى بين العلماء أنفسهم، مما يجعل النظرة للغريب عن الجماعة أو الطارئ عليها يصل إلى حد الرفض والطَّرد، وكان يعتمد في كثير مما كتبه على اختباراته الشخصية ومعايناته مثل لزوم المكتبات لتحقيق ما سمع[3].

كان يسأل عن كل ما لم يصل إليه معتمدا منهج المقارنة بين الأقوال والشهادات مثبتا ما اتفق عليه منها، وهذا المنهج يتسم بالدقة والحرص على أن تكون المعلومة دقيقة صادقة لا لبس فيها.

يبدأ المقدسي كتابه بمدخل طويل عن الجغرافيا الطبيعية، وعن كتابات الذين سبقوه والتقسيمات التي اعتمدوها والاصطلاحات والتسميات الدارجة، ثم يعالج في القسم الأول الأقاليم العربية مثل الجزيرة العربية والعراق وبلاد الشام ومصر والمغرب، ويصف في القسم الثاني الأقاليم الفارسية والأقطار الإسلامية الشرقية مثل: بلاد ما وراء النهر، وخراسان، والدَّيلَم[4]، وكرمان[5]، وقد خص المقدسي كلَّ إقليم بفصل خاص يبدأ بعموميات المنطقة ثم وصف المدن والنواحي التي تتبعها، ويقدم معلومات عن العقائد الدينية والأخلاق[6].

---

[1] المقدسي، ص2.

[2] حميدة، ص255.

[3] المرجع نفسه، ص255.

[4] **الدَّيلَم:** هي المناطق الواقعة قرب قزوين، وهي بلاد كلها جبال وأودية، وفيها خلق كثير من الدَّيلَم، منهم ملوك آل بويه الذين استولوا على الخلافة العباسية. القزويني، ص330.

[5] **كرمان:** محافظة إيرانية حاليا، وتاريخيا هي ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان. الحموي، 454/4.

[6] حميدة، ص256.

رسم المقدسي خرائط مستقلة لكل قسم من الأقسام الأربعة التي قسم إليها العالم الإسلامي، واستخدم في تلك المصوَّرات المرسومة طرقا لتمثيل الظواهر الجغرافية المختلفة حتى يتمكن الجميع من فهمها فهما صحيحا[1].

اشتمل كتاب المقدسي على: "ذكر الأقاليم الإسلامية، وما فيها من المفاوز[2] والبحار والبحيرات والأنهار، ووصف أمصارها[3] المشهورة ومدنها المذكورة، ومنازلها المسلوكة وطرقها المستعملة، ومعادن الحمل والتِّجارات، واختلاف أهل البلدان في كلامهم وأصواتهم وألسنتهم وألوانهم، ومذاهبهم ومكاييلهم وأوزانهم، ونقودهم وصِفَةِ طعامهم وشرابهم وثمارهم ومياههم، ومعرفة مفاخرهم وعيوبهم وما يحمل من عندهم وإليهم، وذكر الأخطار في الطرق وعدد المنازل في المسافات.."[4]، وهذا يدلل بشكل واضح على أنه كاتب موسوعي يهتم بأدق التفاصيل ويسلك في سبيل تحقيق هدفه كل سبيل، وهذا ما جعل كتابه غنيا يجد الباحث فيه بغيته في كثير من الجوانب التاريخية والحضارية والجغرافية لما اشتمل عليه من معلومات غزيرة عن كثير من الأقطار وما تحويه من العجائب والآثار.

ترك لنا المقدسي وصفا مفصلا عن بيت المقدس، وأبوابها، ومناخها وطبيعة أبنيتها وآثارها، ونظافة أسواقها، كما وصف الأوضاع فيها في زمانه، وتحدث عن بعض مصادر مياهها كالبرك والعيون والصهاريج والقنوات، ووصف المسجد الأقصى وموقعه وحجارته وأبوابه وأعمدته وقبابه، وما به من زخارف وأروقة وصفائح، وما قطع له من بسط وخدم ومصارف[5]، كما تحدث عن الخليل وآثارها ومراقد الأنبياء فيها وكرومها، وكرم أهلها، وبعض الآثار فيها[6].

---

[1] حميدة، ص256.

[2] **المفاوز**: جمع مفازة وهي البرية والقفر، وسميت الصحراء مفازة لأن من خرج منها وقطعها فاز. ابن منظور، 393/5

[3] **الأمصار**: جمع مصر وتعني البلد. ابن الأثير، 336/4.

[4] المقدسي، ص1-3.

[5] المصدر نفسه، ص165-ص171.

[6] المصدر نفسه، ص172-ص173.

2. "**سفر نامة**" لناصر خسرو (ت481هـ/1088م)، أبو معين الدين ياسر خسرو القبادياني[1] المروزي[2] الأصل[3]، فارسي الأصل والنشأة والثقافة[4]، كان مولده في بلخ[5]، وقيل في بلدة قبادیان، عاش نيفا وأربعين عاما من حياته موظفا حكوميا متوسط الحال بمدينة مرو[6] في خدمة السلاجقة[7]، كان ناصر خسرو اسماعيليا[8] متعصبا لمذهبه، وقد تدرج في المناصب بين دعاة الإسماعيلية، وكان يعتبر القاهرة مركزا دينيا لمذهبه، والخليفة الفاطمي هو الخليفة الشرعي[9].

ترك هذا الرحَّالة وصفا دقيقا في رحلته ما دل على تدوينه لمشاهداته أولا بأول، وأنه كان يعني بالاتصال بالشعوب التي يمر بها ويتفهَّم مظاهر الحضارةِ التي يشاهدها[10]، وهذا واضح في ذكره كثيرا من التفاصيل الحضارية التي تتعلق بالحياة الاجتماعية والاقتصادية والمعمارية في القدس وغيرها من البلدان التي مر بها، مما يؤكد غزارة معلوماته.

---

[1] **القبادياني:** هذه النسبة إلى قبادیان وهي مدينة وولاية على نهر جيحون قرب ترمذ والتي ينحدر منها الإمام الترمذي، وهي من نواحي بلخ في أفغانستان. الحموي، 334/4.

[2] **المروزي:** بفتح الميم والواو بينهما الراء الساكنة وفي آخرها الزاي، هذه النسبة إلى مدينة مرو الشاهجان، وهي مدينة جليلة عند الفرس تعني نفس السلطان، وقد خرج منها جماعة من أهل العلم والحديث، أبرزهم احمد بن حنبل وعبد الله بن المبارك وسفيان الثوري، وكان فتح مرو سنة ثلاثين من الهجرة على يد حاتم بن النُّعمان الباهلي. السمعاني، 207/12.

[3] المقدسي، ص331.

[4] المصدر نفسه، ص331.

[5] **بلخ:** (من مدن أفغانستان حاليا) مدينة مشهورة بخراسان، فتحها الأحنف بن قيس أيام عثمان بن عفان، كانت غلتها تحمل إلى جميع مدن خراسان. الحموي، 334/1.

[6] **مرو:** أشهر مدن خراسان وقصبتها، تقع اليوم في تركمانستان، وسميت مرو الشاهجان بالفارسية ومعناها نفس السلطان؛ لأن الجان هي النفس أو الروح، والشاه هو السلطان، سميت بذلك لجلالتها عندهم. الحموي، 112/5.

[7] **السلاجقة:** ينسبون لسلجوق أحد صغار أمراء الترك ويقسمون إلى ثلاثة فروع، فرع العجم وهذا الذي استولى على العراق والجزيرة، ثم على الشام والحجاز واليمن، وفرع الروم أي آسيا الصغرى، وفرع كرمان، وهم من أول الأتراك الذين دانوا بالإسلام وخدموا بني العباس، هاجروا إلى فارس والعراق وآسيا الصغرى. وهم أصل الترك العثمانيين سكان الأناضول، وأعظم الشعوب التركية. علي 235/1.

[8] **الإسماعيلية:** إحدى فرق الشيعة ويعتقدون أن الإمامة في جعفر الصادق وانتقلت بعده إلى ابنه إسماعيل وانقسمت إلى فرقتين الأولى منتظرة لإسماعيل بن جعفر رغم اتفاق أصحاب التواريخ على موت إسماعيل في حياة أبيه والثانية تقول بان الإمام بعد جعفر سبطه محمد بن إسماعيل بن جعفر حيث أن جعفر نصب ابنه إسماعيل للإمامة بعده، فلما مات إسماعيل في حياة أبيه نصب ابنه إسماعيل للدلالة على إمامة ابنه محمد بن إسماعيل. البغدادي، ص62-63.

[9] زيادة، ص159.

[10] حسن، ص57.

تضمن كتابه أخباراً عن المدن الفلسطينية أمثال عكا وطبرية وحيفا والرملة والقدس والخليل وعسقلان، وقد وصف الحرم القدسي أدق وصف ضابطا أبعاده وقياساته، كما عني بمصادر المياه في كل بلد مر به. كما ألقى الضوء على الكثير من القضايا الاجتماعية والاقتصادية لفلسطين[1].

أقام خسرو سبع سنوات في القدس ليدرس معالمها وأثارها وموقعها وعادات أهلها وتاريخها الديني والتراثي والعمراني، وقد وصف مشاهداته ودونها في كتابه "سفر نامه" باللغة الفارسية أي "زاد المسافر" فجاءت بصورة بديعة متماسكة وموثقة نهل منها الدارسون والباحثون في تاريخ ومعالم وطقوس مدينة القدس في تلك الحقبة التاريخية[2].

احتوت رحلة خسرو كثيرا من المعلومات عن الأحول الاقتصادية والاجتماعية، لامست عددا من الظواهر الاقتصادية، والاجتماعية، فذكر التطور العمراني في فلسطين، ونمو بعض القرى حتى أصبحت تضاهى المدن، وعند ذكره لمدينة القدس ذكر أن عدد سكانها بلغ عشرين ألف نسمة، وقدم وصفا لمستشفى المدينة[3]حيث وصفه بأنه عظيم يصرف لمرضاه العلاج والدواء، وبه أطباء يأخذون مرتباتهم من الوقف[4].

3. "**نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**" لمحمد بن محمد الشريف الإدريسي، المولود في سبتة سنة(493هـ/1100م) درس في جامعة قرطبة[5]، وطاف الأندلس وشمالي إفريقيا وآسيا الصغرى، ويقال

---

[1] كراتشوفسكي، 259/1

[2] المدني، ص1067.

[3] **بيمارستان:** جمع بيمارستانات، مستشفى؛ محلّ معدّ لإقامة المرضى فيه ومعالجتهم. عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، 1/ 274.

[4] خسرو، ص68.

[5] **قرطبة:** مدينة عظيمة من أعظم مدن الأندلس، وبها كانت ملوك بني أميَّة، وكان يحيط بها سور عظيم من الحجارة، وبيوتها جميلة متصلة ببعضها. الحموي، 324/4.

بأنه زار فرنسا وانجلترا، حيث دعاه الملك روجار الثاني (ت548هـ/1154م)[1] فجاء إلى صقلية التي كانت متأثرة بالمدنية الإسلامية تأثرا كبيرا[2]، لهذا ذاع صيته كأشهر الجغرافيين العرب[3].

أراد روجار أن يؤلف كتابا يشمل وصفا لمملكته وما هو مشهور من البلاد فجمع ما كُتِبَ في هذا الميدان، واختار لهذه المهمة الإدريسي ليقوم بتصنيف كتاب يصف الكرة الأرضية، وقد أنهى الإدريسي "نزهة المشتاق" عام (518هـ/1123م) قبل وفاة روجار سنة (548هـ/1154م)[4].

ويظهر من خلال "نزهة المشتاق" إعجاب الإدريسي بهذا الملك وشخصيته وحكمته وقوته، ويبرز هذا الإعجاب من كيل المديح له في مقدمة كتابه ووصفه له بأنه "المعتز بالله المقتدر بقدرته، وقد شكَّلت مؤلفات الإدريسي إضافة إلى رحلاته الأخرى السابقة وما جمعه رواد روجار الذين أرسلهم إلى الأقاليم المختلفة للاطلاع على أوصافها والتحقق من مواضعها، إضافة إلى ما سجَّله من أحاديث الرحالة والتجار والحجاج في السفن التي كانت ترسو بموانئ صقلية، وما استطاع الاطلاع عليه من بيانات عن البلاد المسيحية بسبب قربه من روجار مصدرا لنزهة المشتاق[5].

نقل الإدريسي كثيرا من معلوماته عن الشرق عمن سبقه من المؤرخين[6] فهو لم يزر جميع الممالك فيه لكنه اعتمد على كتب الرحلات ورسائل الزوار[7].

---

[1] **الملك روجار**: (ت548هـ/1154م)، هو روجار الثاني، أشهر حكام صقلية وأبرزهم، انتهج سياسة ودية تجاه المسلمين في صقلية وساحل افريقية ووطد علاقاته التجارية بالفاطميين حكام مصر، توفي1154م. أحمد، ص64-67.

[2] حسن، ص64.

[3] كلوزيه، ص48.

[4] المرجع نفسه، ص64-65، كراتشوفسكي، ص202، حميدة، ص388.

[5] حسن، ص65.

[6] حسن، ص65.

[7] زيادة، ص14، كراتشوفسكي، ص285.

زار الإدريسي بيت المقدس أثناء الاحتلال الصليبي وتحدث عن الوضع الاقتصادي للمدينة خاصَّة النشاط الزراعي فيها، كما كتب عن المزارات الإسلامية والمسيحية، والمسجد الأقصى، ومسجد قبة الصخرة، وكنيسة القيامة، وغيرها[1].

عاش الإدريسي فترة في صقلية في أواخر أيامه، ليعود إلى بلدته سبتة [2] حيث توفي فيها سنة(560هـ/1165م)[3]. ترجع أهمية كتاب نزهة المشتاق أنَّ صاحبه شاهد عيان على الوجود الصليبي في عدد من بلاد الشام، وعلى جهود الصليبيين في تنصير مدينة القدس من خلال تحويل المساجد إلى كنائس.

يقع وصف الإدريسي لمدينة القدس في الجزء الخامس من الإقليم الثالث الذي يضم قطعة من بحر القلزم(الأحمر) والبحر الشامي، وأرض فلسطين والشام وأسفل أرض الحجاز[4]، ويصف فلسطين بقوله" وديار فلسطين حسنة البقاع بل أزكى بلاد الشام، ومدينتا الشام هما الرملة وبيت المقدس[5].

4. **رحلة ابن جبير "تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار"** للرحالة الأندلسي ابن جبير (ت614هـ/1217م)

أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني[6] الأندلسي الشَّاطبي البلنسي[7]، دخل أسلافه الأندلس مع القائد بلج بن بشر بن عيَّاض القشيري[8]، وكان موطنه في مدينة بلنسية[9] التي ولد فيها، أما وفاته فكانت في الإسكندرية عام(614هـ/1217م)[10].

---

[1] المدني، ص1073.

[2] **سبتة:** مدينة مغربية مشهورة تقع شمال المغرب وتطل على البحر المتوسط ومنها اجتاز المسلمون لفتح الأندلس نحو جبل طارق، اشتهرت بميدان التجارة برا وبحرا، تقع اليوم تحت الاحتلال الإسباني. الطِّيبي، ص44.

[3] المدني، ص1075.

[4] الإدريسي، ص347.

[5] المصدر نفسه، ص356.

[6] حسن، ص64-65.

[7] ابن جبير، ص5.

[8] **بلج بن بشر بن عيَّاض القشيري:** فارس شجاع كان والياً على طنجة وما والاها، فتكاثرت عليه عساكر خوارج البربر فهرب إلى الأندلس في جماعة من أصحابه فلما وصل إليها ادعى ولايتها وشهد له بعض المنهزمين معه وكان الأمير حينئذ بالأندلس عبد الملك بن قطن فوقع في ذلك اختلاف وفتنة إلى أن ظفر بلج بعبد الملك فسجنه ثم قتله ومات بعده بشهر سنة خمس وستين ومائة. الضبي، ص249.

[9] **بلنسية:** مدينة مشهورة بالأندلس تقع شرقي قرطبة وهي برية وبحرية ذات أشجار وانهار ينبت بمناطقها الزعفران. الحموي، 581/1.

[10] كراتشوفسكي، 299/1.

دخل ابن جبير في خدمة أبي السعيد ابن عبد المؤمن[1] صاحب غرناطة، وكان ابن جبير أديبا بارعا شاعر مجيدا سنيا فاضلا نزيه المهمة سري النفس كريم الأخلاق أنيق الطريقة"[2].

صنف ابن جبير رحلته ذاكرا تنقلاته ومشاهداته وما فيها من العجائب، وكتابه يحوي عجائب البلدان والمدن، والأحوال السياسية والاجتماعية والأخلاقية التي كانت سائدة في تلك الفترة[3]

تناول ابن جبير عددا من الجوانب المتعلقة ببلاد الشام والساحل الشامي، كالجوانب الاقتصادية، والخريطة المذهبية، وتحدث عن القلاع والحصون، وعن التعامل والتبادل التجاري بين المسلمين والصليبيين، ووصف طرق التجارة، وأورد بعض الجوانب المتعلقة بالعادات والتقاليد الاجتماعية عند المسلمين أو الصليبيين في آنٍ واحد، وتناول العناصر السكانية في فلسطين، وذكر أن المسلمين يشكلون أغلبية القرى بسبب عدم هجرتهم لها أو أنهم عادوا إليها بعد فترة وجيزة.

5. "**الإشارات إلى معرفة الزيارات**" لمؤلفه الرحالة المؤرخ علي بن أبي بكر الهروي (ت611هـ/1215م)، أصله من هراة[4]، ومولده بالموصل[5]، أمضى معظم حياته في التجوال حتى لقب بالسائح[6]، ولكن تجواله لم يكن في طلب العلم أسوة ببعض الجغرافيين المعروفين بل في زيارة أضرحة الأولياء والمقامات[7] التي

---

[1] **أبو السعيد بن عبد المؤمن:** هو عثمان بن عبد المؤمن وكنيته أبو السعيد، لقب بحاكم غرناطة وملك غرناطة، ولد بحدود(533هـ/1138م)، كان محبا للأدب والشعر، كان حافظا مثقفا محيطا ببعض الكتاب المشهورين، قضى عمره في خدمة الدولة الموحدية في عهد أبيه عبد المؤمن، توفي بالطاعون سنة 571هـ/1175م. شرقي، ص549-551.

[2] ابن الخطيب، 2/ 642.

[3] ابن جبير، ص5.

[4] **هراة:** وهي من أكبر بلاد خراسان، وهي عامرة، وأهلها من أحسن الناس وجوها، افتتحها الأحنف بن قيس في خلافة عثمان بن عفان، وأهلها أشراف من العجم، وبها قوم من العرب. المنجم، ص77.

[5] **الموصل:** من مدن العراق. سميت بالموصل لأنها تصل بين الفرات ودجلة. البكري، 1278/4.

[6] كراتشوفسكي، 220/1.

[7] **المقامات:** مفردها مقام وهو مكان إقامة ولي من الأولياء أو نبي من الأنبياء وقد يكون قبرا لصاحبه. البيتاوي، ص3.

سمع بها، وفي آخر حياته تمتع الهروي بنفوذ كبير لدى والي حلب[1] الملك الظاهر بن صلاح الدين[2]، وشيد له الأمير مدرسة توفي فيها[3]، وكان اسمه يرتبط ببعض المصنفات تارة من طراز "كتب الزيارات" المعروفة لنا وهي أشبه بمرشد للحجاج، وتارة من طراز "العجائب "[4]، وقد قضى الهروي حياته مرتحلا في أنحاء المشرق والمغرب الإسلاميَّين، وغيرهما[5].

اعتمد الهروي في كتابه هذا على ذاكرته اعتمادا تاما أثناء تدوينه له، ذلك أن الجانب الأكبر من أوراق الهروي ومدوناته فقدت أثناء كارثة حلَّت بسفينته قرب عكا عام1192م، وهو يستدرك على نفسه أحيانا بقوله أن معلوماته عن بعض الأماكن التي لم يستطع زيارتها شخصيا قد أخذها ممن زاروها[6].

قسَّمَ كتابه وفق نظام الأجناد الخمسة الذي يعود إلى الفتح الإسلامي، وهي: قنِّسرين، حمص[7]، دمشق، الأردن، فلسطين. وتكمن أهمية كتابه في احتوائه معلومات قيمة عن كل مدن فلسطين والشام كطبريا وبيسان وبانياس[8] وصور[9] وعكا وحيفا والرملة واللد وبيت المقدس والخليل ونابلس وقيسارية[10] وأرسوف[11] ويافا وعسقلان، وغزة وغيرها من مدن الساحل، إضافة إلى مزاراتها[12] ومعلومات عن الحروب

---

[1] **حلب:** مدينة عظيمة من مدن الشام كثيرة الخيرات طيبة الهواء صحيحة التربة. لها سور حصين وقلعة حصينة. ويقال أنها سميت حلب لأن الخليل إبراهيم عليه السلام كان يحلب غنمه بها ويتصدق بلبنها يوم الجمعة فيقول الفقراء: حلب، فسميت بذلك. القزويني، ص183.

[2] **الملك الظاهر:** غيَّاث الدين بن صلاح الدين يوسف بن أيوب، كان ملكا حازما متيقظا، حسن التدبير والسياسة، محبا للعلماء، مجيزا للشعراء، كثير الاطلاع على أخبار الملوك وأحوال رعيته، حسن الذكاء.توفي سنة ثلاث عشرة وست مائة. با مَخرَمة، 54/5.

[3] كراتشوفسكي،1/ 221، حميدة، ص483.

[4] كراتشوفسكي، 1/ 221.

[5] الهروي، ص5.

[6] كراتشوفسكي، 221/1.

[7] **حمص** (من مدن سوريا حاليا) من أوسع مدن الشام ولها نهر عظيم منه شرب أهلها، افتتحها أبو عبيدة الجراح سنة عشرة صلحا وانتقضت بعد الفتح فصالح أهلها ثانية. اليعقوبي، ص161.

[8] **بانياس:** مدينة تقع غربي مدينة حماة تقع على البحر المتوسط (سورية) جنوبي مدينة اللاذقية وجبلة. موقع الإسلام، المكتبة الشاملة.

[9] **صور:** من مدن الشام بحرية، بها دار صناعة السفن، ومنها تخرج مراكب السلطان، وهي حصينة جليلة، قريبة من عكا، ويضرب بها المثل في الحصانة. الحميري، ص369.

[10] **قيسارية:** بلد على ساحل البحر المتوسط تعدّ في أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام، وكانت قديما من أعيان أمهات المدن واسعة الرّقعة طيبة البقعة كثيرة الخير والأهل. الحموي،421/4.

[11] **أرسوف:** مدينة على ساحل البحر المتوسط بين قيسارية ويافا. الحموي، 151/1.

[12] **المزارات:** جمع مزار وهي موع الزيارة وكانت عبارة عن مقامات أو قبور أولياء أو مشاهد معينة يتم زيارتها من قبل الناس للتبرك بها في حقب اتسمت بالضعف والجهل. البيتاوي، ص4-5.

الصليبية (488-690هـ/1095-1291)[1] لأنه زار هذه المناطق وهي محتلة من قبل الصليبيين.

استفاد الباحث من المصدر في الحصول على معلومات عن قبة الصخرة ورواقها وعن الجامع القبلي وكنيسة القيامة وبعض المواقع الجغرافية كوادي جهنم، كما قدم معلومات عن مدينة الخليل ومزاراتها خاصَّة الحرم الإبراهيمي وقبور الأنبياء.

6. "**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**" لابن فضل الله العمري(ت700/1349م) شهاب الدين، أبو العباس أحمد بن محيي الدين بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري[2]، ينتسب لأسرة سورية تنحدر من سلالة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، ومن ذلك نسبتهم العمري[3]، ولد في دمشق عام(700هـ/1300م) وأتم دراسته بها قبل أن يستقر بالقاهرة عام(731هـ/1332م) مع والده[4]، كان لأسرة العمري مشاركة كبيرة في شؤون الدولة والإدارة أيام المماليك خاصة في تنظيم أمور البريد[5]، فوالده القاضي محيي الدين تولى كتابة السر في دمشق مرتين سنة(727هـ/1326م)، ثم عزله الملك الناصر محمد بن قلاوون[6]، ولزم داره سنتين إلى أن طلبه وولاه كتابة سر[7] مصر عوضا عن علاء الدين بن الأثير[8]، ثم نقل إلى دمشق سنة(732هـ/1331م)، ثم عاد إلى مصر في العام التالي وظل بها حتى وفاته سنة(738هـ/1337م)[9].

---

[1] **الحروب الصليبية**: حركة صليبية استعمارية ولدت في غرب أوروبا واتخذت شكل هجوم مسلح على بلاد المسلمين وبخاصة الشرق الأدنى الإسلامي بين الأعوام(1095-1291م)، وتتبع جذورها من الأوضاع الدينية والاجتماعية والفكرية والسياسية التي سرت في غرب أوروبا في القرن الحادي عش الميلادي واتخذت من الدين ستارا لها. عمران، ص15.

[2] العمري،5/1، حميدة، ص548.

[3] حميدة، ص548، كراتشوفسكي، 410/1.

[4] العمري، 5/1.

[5] زيادة، ص98.

[6] **محمد بن قلاوون**:(ت741هـ/1340م) ابن السلطان قلاوون أحد سلاطين المماليك البحرية ولد من أم مغولية، تولى السلطنة صغيرا ثم خلع وعاد اليها مرة ثانية منتقما ممن سلبوه ملكه، بسط نفوذه ووطد ملكه في مصر وسوريا وطرابلس الغرب حارب المغول وانتصر عليهم في معركة مرج الصفر، قضى في الحكم 43سنة. حسن، ص6.

[7] **كتابة السر**: قراءة الكتب الواردة على السلطان وكتابة أجوبتها وأخذ خط السلطان عليها، وتسفيرها، وتصريف المراسم ورودا وصدرا والجلوس لقراءة القصص بدار العدل والتوقيع عليها. العمري، 457/3.

[8] **علاء الدين بن الأثير**: هو علي بن أحمد بن سعيد بن محمد بن الأثير الحلبي الأصل، ثم المصري، كاتب السر بمصر، كانت له حرمة ووجاهة وأموال وثروة ومكانة عند السلطان، حتى ضربه الفالج في آخر عمره فانعزل عن الوظيفة. ابن كثير، 149/14.

[9] العمري، 5/1.

كان العمري قاضيا فقيها أديبا إماما فاضلا بليغا مفوَّها إماما لأهل الأدب، أحد رجالات زمانه كتابةً وترسُّلا[1]، تمتَّعَ بثقافة واسعة المدى وذوق أدبي مرهف ولم يتخذ العلم وسيلة للارتزاق[2].

وصفه صاحب "الدرر الكامنة" بأنه "كان يتوقد ذكاءً مع حافظة قوية وصورة جميلة واقتدار على النظم والنثر، حتى أنه كان يكتب من رأس القلم ما يعجز عنه غيره في مدة مع سعة الصدر وحسن الخلق وبِشر المحيَّا"[3]، وهذا ما يفسر لنا فكره الموسوعي وتشعب اهتماماته بين الأدب واللغة والفقه والبلاغة والجغرافية، حتى أن كتابه الذي اشتهر به "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" يُعَدُّ من أهمِّ الكتب الموسوعية[4].

اجتمعت للعمري أربعة أشياء لم تجتمع لغيره وهي الحافظة إذ قلما طالع شيئا إلا وكان مستحضرا لأكثره؛ والذاكرة التي إذا أراد ذكر شيء من زمن متقدم كان ذلك حاضرا كأنه إنما مرَّ به بالأمس؛ والذكاء الذي تسلّط به على ما أراد، وحسن القريحة في النظم والنثر[5]، وهذه الشهادة دليل على علمه الواسع واطلاعه الكبير وعقله المستنير الذي لولاه لما وصل إلى ما وصل إليه عند السلطان ولما وصلتنا مؤلفاته وكتبه الضخمة.

تقدر المصادر المختلفة أن العمري ترك ما يقارب أحد عشر مصنفا، تشمل رسائل ودواوين شعرية، ومجلد لخدمة كاتب الدولة[6] اسمه "التعريف بالمصطلح الشريف"[7]، وهذا الكتاب يدل على تخصصه في مجاله واهتمامه الكبير بصنعته وتفرغه الواسع لمهنته، وسعة اطلاعه في كل ما يخص أحوال عصره وزمانه فيما يساعده في أداء وظيفته.

---

[1] العمري، 5/1.

[2] حميدة، ص548.

[3] العسقلاني،323/1.

[4] زيادة، ص13.

[5] الصفدي، 164/8.

[6] حميدة، ص548.

[7] **التعريف بالمصطلح الشريف:** كتاب موضوع كدليل لمن يعمل في وظيفة كاتب الدولة يصف فيه الأقاليم ذات العلاقة بالدولة المملوكية وطريق مخاطبة كل إقليم في الرسائل الصادرة إليه يقع في (236صفحة). العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، ص1-236.

تتلمذ العمري على أساتذة بارزين في مختلف فروع المعرفة، معروفين بسعة الأفق أمثال برهان الدين بن الفركاح[1] الذي كان نشاطه العلمي يمتد حتى الميدان الجغرافي، كما تتلمذ على شهاب الدين الحلبي[2] أحد علماء البلاغة في عصره[3]

تولى العمري القضاء في القاهرة، ورئاسة ديوان الإنشاء، وفي عام(737هـ/1337م) كان عضوا في بعثة الحج المصرية، لكنه فقد مكانته عند السلطان بسبب ما أسماه بعض الباحثين "حدة طباعه"[4] التي ساقته إلى النزاع مع السلطان وبالتالي عزله من منصبه ونفيه إلى دمشق سنة(738هـ/1338م)[5]، حيث أمضى بقية أعوام حياته فيها ومات بعدها بسبب الربو[6] سنة (749هـ/1348م)[7].

وصف العمري دولة المماليك ومن عاصرها من الدول والممالك، وذكر الطرق والمدن والمسالك والبلدان، والزروع والأطعمة والأشربة والعملات المتداولة وغير ذلك من أمور الناس، وذكر الأدباء والشعراء والأطباء والعلماء من الفقهاء والمتصوفة إضافة إلى ذكر الحكام والملوك.

يعتمد منهج العمري على النقل المباشر من الأعيان الثقات، والمحققين للرواية ومن الكتب الموثوقة كتقسيم الأقاليم وما فيها من أقوال القدماء واختلاف آراء الحكماء[8]، وكان يتفحص العجائب التي يذكرها، ويذكر الناقل عند ذكر الغرائب ليكون مصدره موثوقا[9].

---

[1] **ابن الفركاح:** (ت729هـ/1329م) إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم الفقيه الشافعي، الدمشقي المولد والنشأة، توفي في مصر كان فقيها وأصوليا في العربية والنحو والحديث، كان خطيبا واعظا طلق العبارة، لم يقبل أيا من المناصب الكبار التي عرضت عليه وانقطع للتدريس والعبادة والإقراء وانتهت إليه رياسة المذهب الشافعي بالشام، كان حسن الأخلاق ورعا ريما محسنا للطلاب يصرف كل مرتبه في مصالحه ومصالح الناس، من كتبه "تعليق التنبيه" في الفقه و"تعليق على مختصر ابن الحاجب" وغيره. الزحيلي، ص435.

[2] **شهاب الدين الحلبي:** (ت725هـ/1324م) شهاب الدين أبو الثناء محمود بن سلمان بن فهر الحلبي الدمشقي من مواليد حلب سمع الحديث وعني بالأدب واللغة والشعر كان كثير الفضائل عارفا في علم الإنشاء نظما ونثرا وله في ذلك كتب ومصنفات وقد مكث في ديوان الإنشاء نحوا من خمسين سنة ثم ولي كتابة السر بدمشق نحوا من ثماني سنين إلى أن توفي. الشاوي، ص156.

[3] حميدة، ص548.

[4] المرجع نفسه، ص548.

[5] المرجع نفسه، ص548.

[6] كراتشوفسكي، 410/1، حميدة، ص548.

[7] العمري، 5/1.

[8] المصدر نفسه، 1/ 108.

[9] المصدر نفسه، 1/ 111.

ينقسم مصنف العمري الضخم إلى قسمين، الأول منهما ينقسم إلى شطرين معالجا الجغرافيا العامة والإمبراطوريات الكبرى، أما الثاني فينقسم أيضا إلى قسمين ويعالج تاريخ الأمم قبل ظهور الإسلام وبعده[1]، وقد وصفه الصفدي بأنه" كتاب حافل ما يُعلم أن لأحد مثله"[2].

وصف العمري المسجد الأقصى ومساحاته وقبابه وما فيه من محاريب وأسوار وأبواب والأودية المحيطة به وكثير من التفاصيل التي صَوَّرها تصويرا دقيقا جميلا.

تحدث العمري عن الأهمية الدينية للقدس والمسجد الأقصى مستدلا بحديث شد الرحال وبدايات سورة الإسراء، وقد سمى المسجد الأقصى بالبيت المقدّس، وبين موضع المعراج الذي عرج منه الرسول –صلى الله عليه وسلم– وبعض المصليات والقباب وعلى رأسها قبة الصخرة[3].

كما وصف العمري مدينة الخليل وموضعها والأهمية الدينية للمقامات فيها، إضافة إلى سورها وقنوات الماء المسيَّرةَ إليها، واصفا إيَّاها بالبهاء مطلقا عليها اسم مزرعة إبراهيم[4].

7. "**تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**" لابن بطوطة (ت779هـ/1377م)، محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي[5] الطَّنجي[6]، نال لقب أعظم الرحالة على الإطلاق[7]. ولد في مدينة طنجة سنة(703هـ/1304م) من أسرة علميَّة أتيح لكثير من أبنائها الوصول إلى منصب القضاء والنبوغ في العلوم الشرعية[8].

---

[1] كراتشوفسكي، 411/1، حميدة، ص549.

[2] الصفدي، 1/ 164.

[3] العمري، 460/3.

[4] المصدر نفسه، 545/3.

[5] فهيم، ص22، حميدة، ص559، كراتشوفسكي، 421/1.

[6] كراتشوفسكي، 421/1.

[7] المرجع نفسه، ص22.

[8] حسن، ص136.

بدأ رحلاته في الثاني من رجب عام (725هـ/1324م) من طنجة قاصدا بيت الله الحرام ثم انتقل في ربوع بلاد امتدت من المحيط الأطلسي غربا إلى بحر الصين شرقا، عاد بعدها ليملي مشاهداته ورواياته على محمد بن جزي الكلبي[1] بتكليف من السلطان أبي عنان المريني[2] حاكم المغرب حينذاك[3]. ويقدر بعض الباحثين ما قطعه في أسفاره لا يقل عن (120000كم) ولذلك اعتبر بحق شيخ الرحالين العرب وسيد رَحَّالي القرن (الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي)[4]، وهذا ما دفع كلوزييه للقول عنه "ظل ابن بطوطة خلال (32) سنة من حياته رحالة لا يعرف التعب"[5].

احتوى تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار معلومات عن جهات في إفريقيا كانت لا تزال مجهولة حتى ذلك الوقت، كما أورَدَ أحاديث عن تلك الحقبة الإسلامية والهندية، وصف المناسبات والاحتفالات، ووضَّحَ طبيعة التفاعل بين الهنود والمسلمين بعد ثلاثة قرون تقريبا من الفتح الإسلامي. وتقدم الرحلة وصفا للعالم الإسلامي في ذلك الوقت بينت فيه اتساع أطرافه وامتداد بقاعه والتنوع بين الشعوب التي تعيش فيه واختلاف العادات والتقاليد[6].

تنقل ابن بطوطة بين مدن فلسطين والشام فوصف غزة وبيت المقدس، وأعجب بقبة الصخرة[7] وتحدث عن فضلاء بيت المقدس وعلمائها الذين عاصروا زيارته ولقيهم أثناءها[8].

---

[1] **محمد بن جزي الكلبي:** أبو القاسم حمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، الغرناطي، من شيوخ لسان الدين ابن الخطيب، كان فقيها من العلماء بالأصول واللغة، ومن كتبه "القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية" و"تقريب الوصول إلى علم الأصول" و"الفوائد العامة في لحن العامة". الزركلي، 325/5.

[2] **السلطان أبو عنان المريني:** فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب المريني، أبو عنان، (ت760هـ/1359م)،من ملوك بني مرين في المغرب. مات خنقا من قبل وزيره سنة 1358م. الزركلي، 68/2.

[3] فهيم، ص23.

[4] زيادة، ص187.

[5] كلوزييه، ص48.

[6] فهيم، ص23.

[7] ابن بطوطة، 76/1.

[8] حسن، ص142.

ويُذكرُ أن ابن بطوطة كان قد فقد أوراقه وكتبه غيرة مرة، ولذلك نجده قد أملى الرحلة من الذاكرة[1] وهذا ما دفع بعض الباحثين للقول بأن رحلة ابن بطوطة فيها كثير من المبالغات التي لا يقبلها العقل[2]، وأظهر خلالها اختلاطا ادخل الشك إلى نفوس بعض معاصريه مثل ابن خلدون، لكن من درسوا تراثه اجمعوا على صدقه وإخلاصه وأمانته فيما نقل وروى وتذكر، وأرجعوا الخطأ أو السهو إلى بعد المسافات وطول الزمن[3]، لكن هذه التشكيكات لا تقلل من قيمة العمل الذي قام به، ولا تُسقِط الزَّخم الذي تحتويه هذه رحلته من معلومات زاخرة.

الاستفادة من مصادر الدراسة

قدم المقدسي وصفا مفصلا عن بيت المقدس، وأبوابها، ومناخها وطبيعة أبنيتها وآثارها، ونظافة أسواقها، كما وصف الأوضاع فيها في زمانه، وتحدث عن بعض مصادر مياهها كالبرك والعيون والصهاريج والقنوات، ووصف المسجد الأقصى وموقعه وحجارته وأبوابه وأعمدته وقبابه، وما به من زخارف وأروقة وصفائح، وما قطع له من بسط وخدم ومصارف، كما تحدث عن الخليل وآثارها ومراقد الأنبياء فيها وكرومها، وكرم أهلها، وبعض الآثار فيها.

احتوت رحلة خسرو كثيرا من المعلومات عن الأحول الاقتصادية والاجتماعية، لامست عددا من الظواهر الاقتصادية، والاجتماعية، فذكر التطور العمراني في فلسطين، ونمو بعض القرى حتى أصبحت تضاهى المدن، وعند ذكره لمدينة القدس ذكر أن عدد سكانها بلغ عشرين ألف نسمة، وقدم وصفا لمستشفى المدينة.

تحدث الإدريسي عن الوضع الاقتصادي للقدس خاصَّة النشاط الزراعي فيها وتحدث أيضا عن المزارات الإسلامية والمسيحية، والمسجد الأقصى، ومسجد قبة الصخرة، وكنيسة القيامة.

---

[1] زيادة، ص189.

[2] حسن، ص138-139.

[3] زيادة، ص189.

تناول ابن جبير عددا من الجوانب المتعلقة ببلاد الشام والساحل الشامي، كالجوانب الاقتصادية، والخريطة المذهبية، وتحدث عن القلاع والحصون، وعن التعامل والتبادل التجاري بين المسلمين والصليبيين، ووصف طرق التجارة، وأورد بعض الجوانب المتعلقة بالعادات والتقاليد الاجتماعية عند المسلمين أو الصليبيين في آنٍ واحد، وتناول العناصر السكانية في فلسطين، وذكر أن المسلمين يشكلون أغلبية القرى بسبب عدم هجرتهم لها أو أنهم عادوا إليها بعد فترة وجيزة.

قدم الهروي معلومات عن قبة الصخرة ورواقها وعن الجامع القبلي وكنيسة القيامة وبعض المواقع الجغرافية كوادي جهنم، كما قدم معلومات عن مدينة الخليل ومزاراتها خاصَّة الحرم الإبراهيمي وقبور الأنبياء.

وصف العمري المسجد الأقصى ومساحاته وقبابه وما فيه من محاريب وأسوار وأبواب والأودية المحيطة، وتحدث عن الأهمية الدينية للقدس والمسجد الأقصى مستدلا بحديث شد الرحال وبدايات سورة الإسراء، وقد سمى المسجد الأقصى بالبيت المقدّس، وبين موضع المعراج الذي عرج منه الرسول –صلى الله عليه وسلم– وبعض المصليات والقباب وعلى رأسها قبة الصخرة. ووصف مدينة الخليل وموضعها والأهمية الدينية للمقامات فيها، إضافة إلى سورها وقنوات الماء المسيَّرةَ إليها، واصفا إيَّاها بالبهاء مطلقا عليها اسم مزرعة إبراهيم.

وصف ابن بطوطة مدن فلسطين والشام مثل غزة وبيت المقدس، وأعجب بقبة الصخرة، وتحدث عن فضلاء بيت المقدس وعلمائها الذين عاصروا زيارته ولقيهم أثناءها.

الدراسات السابقة

تحدث كثير من الباحثين في أبحاثهم ودراساتهم عن مدينتي القدس والخليل، لكن كثيرا من هذه الدراسات كانت تلتزم خطا معينا بإفراد كل مدينة ببحث يخصها، وبخط زمني مركّزين على نواحٍ معينة في دراساتهم الجغرافية والتاريخية لهاتين المدينتين.

قدَّمت بعضُ الدراسات مدينة القدس من خلال رحَّالة مُعيَّن دون دراستها بشمولية من خلال جميع الرحَّالة الذين زاروها، كما اتخذ بعضها قرنا معيّنا لدراسة أوضاع القدس في أو جانبا من الجوانب الحضارية لدراسته دون التوسع في بقية الجوانب الأخرى، كالحديث عن القضايا السياسية أو جهود بعض الحكام في الإعمار والتطوير على سبيل المثال لا الحصر.

ولهذا جاءت هذه الدراسة بالتزام خط زماني واسع معتمدة على كل المصادر الجغرافية التي ذكرت مدينتي القدس والخليل حتى القرن (العاشر الهجري/الرابع عشر الميلادي) كي تكون هناك إضافة جديدة في البحوث التاريخية والجغرافية التي تتناول هاتين المدينتين.

وَمنَ الدِّراساتِ السَّابِقةِ التي كُتِبَت حَولَ هذا المَوضوع:

- **دراسة بدر، ربيع بعنوان "القدس في كتب الجغرافيين خلال القرن الرابع الهجري"**

تناول البحث الأوضاع الاقتصادية والسياسية والإدارية في مدينة القدس خلال القرن الرابع الهجري، إضافة إلى الحياة الدينية والاجتماعية في تلك الفترة كما تظهر في كتب الرحالة والجغرافيين العرب، كما تناول أيضا معالم مدينة القدس وعمارتها في تلك الفترة.

رغم اقتصار هذه الدراسة زمانيا على القرن (الرابع الهجري/العاشر الميلادي) وعلى مدينة القدس لكنها تفيد الباحث عند دراسته للحياة الدينية والاجتماعية في الفترة المحددة في مدينة القدس.

- **دراسة عياش، حسن بعنوان "النواحي العمرانية لمدينة الخليل في كتب الرحالة والجغرافيين العرب"**

حيث تناول البحث عددا من الجغرافيين العرب الذين زاروا مدينة الخليل أو كتبوا عنها مع التركيز على النواحي العمرانية واستنطاقها في كتاباتهم. تقتصر هذه الدراسة على مدينة الخليل وعلى النواحي العمرانية منها وهذه تشكل إثراءً للدراسة الحالية عند دراستها للنواحي العمرانية في مدينة الخليل.

- **دراسة الحنفي، أحلام أحمد محمد بعنوان "القدس في عيون الرحالة العرب من القرن السادس حتى القرن الثاني عشر للهجرة".**

حيث تناول البحث ملامح العصور التي مرت بها المدينة وسرد عددا من الرحلات وفق التسلسل التاريخي من القرن السادس إلى القرن الثاني عشر الهجريين، كما اعتمد المنهج الوصفي في ذكر الأعمال العمرانية في العصور والمشاهدات الوصفية في الرحلات.

تشكل هذه الدراسة إثراءً للدراسة الحالية من خلال تركيزها على الجوانب العمرانية رغم اقتصارها على مدينة القدس، وعدم توسعها وتناولها لبعض المصادر الجغرافية وحديثها عن القدس بشكل منفصل.

الفصل الأول

الجغرافيا التاريخية والسياسية

أولا: الموقع والتسمية

- **الموقع:**

شيدت مدينة القدس على أربعة تلال تسمى تلال الضهور[1] المطلة على بلدة سلوان[2] الواقعة جنوب شرق المسجد الأقصى، وهي: تلال الشمس[3]، وموريا[4]، وبزيتا[5] إضافة إلى تل أكرا، لكنَّ هذه النواة تغيرت مع الزمن وحلَّ محلَّها نواة رئيسية تقوم على تلال أخرى مثل مرتفع الزيتون في الشمال الشرقي للمدينة، ومرتفع ساحة الحرم وهي المرتفعات التي تقع داخل السور فيما يعرف اليوم بالقدس القديمة[6].

تمتد القدس بين كتلتي جبال نابلس في الشمال، وجبال الخليل في الجنوب، وتقع إلى الشرق من البحر المتوسط، وتبعد عنه(52) كم، وعن البحر الميت(22) كم، وترتفع عن سطح البحر حوالي(775)م، وهذا الموقع ساهم في جعلها المدينة المركزية في فلسطين[7].

وتعد القدس من المدن الحصينة إذ تحيط بها الجبال والأودية من جميع اتجاهاتها ما عدا الجهة الشمالية، لذا تعرضت للغزو عبر التاريخ من الناحية الشمالية[8].

---

[1] **تلال الضُّهور (أوفل) :**يقع بين الحرم القدسي وقرية سلوان، وفيه حواكير عرفت بالضُّهور. الدباغ، ق1، 248/1.

[2] **سلوان:** بلدة في بيت المقدس يقال أنه كان تحتها عين عذبة تسقي جنانا عظيمة وقفها عثمان ابن عفّان، رضي الله عنه، على ضعفاء بيت المقدس. الحموي، 241/3.

[3] **تل الشمس:** يقع في الجنوب الغربي من مدينة القدس، وهو التل القائم عليه حي النبي داوود، وحارة الأرمن. العارف، ص3.

[4] **تل موريا:** أحد تلال مدينة القدس، ويعرف بالصخرة، أو جبل بيت المقدس، وهو المرتفع الذي يقوم عليه الحرم القدسي الشريف، العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص3. وموريا معناها الجبل المختار. زياد، ص13.

[5] **تل بزيتا:** هي البقعة التي تقوم عليها أحياء باب حطة وباب الساهرة وما بينهما. العارف، ص3.

[6] البرغوثي، ص11.

[7] المرجع نفسه، ص11، البار، ص24.

[8] البار، ص34.

تقع مدينة القدس على سفح جبل[1]، وقد وصفها خسرو بأنَّها تقع على رأس صخري[2]، وهذا يوافق وصف الإدريسي (ت493هـ/1100م) "وهي على جبل يصعد إليه من كل جانب"[3]، كما أنها هضبة غير مستوية[4]وذكر الحموي(ت626هـ/1228م) أن هذه الهضبة المرتفعة هي التي ذكرها الله في القران[5] بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۝٥٠﴾[سورة المؤمنون:50]. وهذا فيه اختلاف بين المفسِّرين لأن بعضهم ذكر أمكنة غير بيت المقدس منها مصر ودمشق، والرملة، لكنَّ الأظهرَ والأقوى أنَّها ربوة بيت المقدس[6].

ترتفع الهضبة التي قامت عليها القدس نحو 750مترا عن سطح البحر الأبيض المتوسط[7]، وتقع على خط طول 35درجة و13دقيقة شرقا، وخط عرض31درجة و52 دقيقة شمال خط الاستواء[8].

أما **مدينة الخليل** فتقع في الطرف الجنوبي الغربي لسلسلة جبال وسط فلسطين مكونة أعلى هضبة منبسطة في قمتها بحيث تشكل جبال الخليل أطول مجموعة جبال في فلسطين وأعرضها[9].

وحسب "الدباغ" فقد اختلفت حدود ديار الخليل باختلاف العصور والأيام، حيث عثر على أقدم تحديد لها منذ العهد الروماني في نحو400م، أي منذ نحو1600سنة، وقد كانت في تلك الفترة تتألف من قطاع صغير يضم عدة مواقع وهي: حبرون(Chebron) البلدة المتواضعة بما فيها قلعتها وحرمها "بيت إبراهيم"؛ إضافة إلى قلعة تربنتوس(Terbinthus) الحصينة الواقعة في نحو منتصف الطريق بين حلحول والخليل، وموقعها

---

[1] مجهول، ص177.
[2] خسرو، ص67.
[3] ابن حوقل، ص158، الإدريسي، ص358.
[4] غازي، ص16.
[5] الحموي، 5/ 166.
[6] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 415/5، زايد، ص6.
[7] البار، ص25.
[8] المرجع نفسه، ص25.
[9] السعايدة، ص25.

يعرف اليوم بـ(رامة الخليل)؛ أمَّا بِثِنّيم(Bethennim) فهي القرية الحصينة التي تقوم على موقعها اليوم قرية بيت عينون[1]. والراجح أن هذا القطاع هو الذي أقطعه الرسول –صلى الله عليه وسلم– لتميم الداري[2] هو: حبرى، وبيت ابراهيم، وبيت عينون، والمرطوم (رامة الخليل)[3].

وهذا يدفع للاستنتاج أن هناك اتساعا في المواقع حَكَمته ظروف الزمان وتبدُّل الحقب والدول الحاكمة، وظروف الاستقرار البشري في تلك الحقب والتي لعبت دورا في تموضع الخليل على أماكن مختلفة لكنها ظلت تدور في نفس الحلقة الجغرافية تقريبا باختلاف تضاريسها.

- **التسمية:**

تعددت أسماء مدينة القدس فعرفت باسم يبوس[4]، وسميت أيضا بمدينة داوود، وسماها الرومان يروسالم، وسماها المؤرخ اليهودي يوسيفيوس هيروسليما وصارت بعد ذلك هيروساليما، ومنها اشتق الأوروبيون جيروسالم، وسماها تيطس سوليموس وسوليما، وسماها المكابيون[5] يروسليما[6]، ومن أسمائها إيليا[7]، وبيت آيل[8]، ومن أسمائها القرية[9] والذي ورد في القران الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾[سورة البقرة:58].

---

[1] **بيت عينون:** قرية أقطعها رسول الله لتميم الداري، وتقع اليوم في منطقة الخليل بفلسطين. شُرَّاب، ص55.

[2] **تميم الداري:** صاحب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أبو رقية تميم بن أوس بن خارجة بن سود بن جذيمة اللخمي، الفلسطيني، وفد على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– تميم الداري سنة تسع، فأسلم. له عدة أحاديث، وكان عابداً، تلَّاءً لكتاب الله. الذهبي، 75/4.

[3] الدباغ، ج5/ ق2/ ص10.

[4] **اليبوسيون:** أحد الأقوام الكنعانية عاشوا في المناطق المرتفعة المتاخمة للقدس، وهم الذين بنوها وسمَّوها "أوروسالم" أي "مدينة السلام"، و"يبوس"، ذاب اليبوسيون في الأقوام الأخرى التي سكنت المدينة بعد القرن السادس قبل الميلاد. المسيري، 278/10، العارف، ص11.

[5] **المكابيون:** نتجت عن ثورة يهوذا المكابي عام 164ق.م بسبب قيام السلوقيين بإجبار اليهود على ترك ديانتهم. امطير، ص27.

[6] زايد، ص6.

[7] الحنبلي،1/ 28.

[8] **بيت ايل:** معناه منزل الإله. زايد، ص6.

[9] زايد، ص6.

ومن أسمائها بيت المقدس والبيت المقدَّس والأرض المقدسة، والمسجد الأقصى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾ [سورة الإسراء: 1]، ولما جاء العثمانيون أضافوا اسم الشريف، فسميت بالقدس الشريف[1].

أمَّا **مدينة الخليل** فكانت تدعى في الأصل قرية أربع (بمعنى أربعة) نسبة إلى منشئها الملك أربع العربي الكنعاني المنتمي إلى قبيلة العناقيين، وهي القبيلة التي كانت منازلها ممتدة على الجبال الواقعة بين الخليل والقدس، وقد كانوا يوصفون بالجبابرة[2].

عرفت الخليل أيضا باسم مسجد إبراهيم[3]، وبيت إبراهيم[4]، وحَبرَى[5]، وقيل حِبرى بكسرِ أوله[6] وقيل حَبرون[7]، أما تسميتها بالخليل فنسبة إلى خليل الله إبراهيم عليه السلام[8].

ثانيا: التضاريس والمناخ

- **التضاريس:**

تقع مدينة القدس على هضبة تحيط بها أودية عميقة تفصل بين جبالها ومرتفعاتها، وأهم هذه الأودية وادي

[1] زايد، ص6.
[2] عبد الرحمن، ص7-8.
[3] ابن خرداذبه، ص79، الاصطخري، ص44.
[4] ابن حوقل، ص154، المهلبي، ص82.
[5] المقدسي، ص172، الحموي،387/2، العبدري، ص 464.
[6] البكري، 419/2.
[7] الحموي، 387/2.
[8] الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، ص30.

سلوان(جيحون)[1]، ووادي جهنم[2]، ووادي قدرون[3]، ووادي الربابة[4]، ووادي تيروبيون[5]، ووادي الأرواح[6]، وتدلنا المصادر على أن أرض القدس وضياعها وقراها كلّها "جبال شامخة وليس حولها ولا بالقرب منها أرض وطيئةً البتة "[7]

ويحيط بالقدس عدد من الجبال التي ارتبطت بها تاريخيا، وكان شاهدة على كل المراحل التي مرت بها مدينة القدس عبر العصور المختلفة التي مرَّت بها زمانيا ومكانيا. ومن أهم هذه الجبال: جبل الزيتون[8]، وجبل المشارف[9]، وجبل النبي صموئيل[10]، وجبل المكبِّر[11]، وجبل بطن الهوا[12]. وهناك جبال تقع داخل سور المدينة

---

[1] **وادي سلوان(جيحون):** ويقع إلى الجنوب من المسجد الأقصى وهو اسم النبع الموجود في هذا الوادي، والذي ينساب منه مجرى ماء بعد هطول الأمطار. ظاظا، ص16، المقدسي، ص172.

[2] **وادي جهنم:** يمتد على طول جنوبي القدس حتى الطرف الجنوبي الشرقي من جبل صهيون، وكان من أسماء هذا الوادي "حقل الدماء" و"وادي النار" و"وادي ستي مريم" و"وادي سلوان". ويرى "ظاظا" أن وادي جهنم هو نفسه وادي سلوان. البار، ص32، ظاظا، ص16.

[3] **وادي قدرون:** يقع بين المسجد الأقصى وجبل الطور، وهو اسم لجدول الماء الذي يجري في قاعهِ عند سقوط المطر ويعرف بالوادي الشرقي، غازي، ص16، البار، ص33، ظاظا، ص15.

[4] **وادي الربابة:** ينحدر من باب الخليل في السور الغربي لمدينة القدس إلى بئر أيوب ويفصل جبل صهيون عن تل أبي ثور الواقع جنوب القدس القديمة ويلتقي عند بئر أيوب ووادي جهنم. ظاظا، حسن، ص16. القطيعي، (ت 739هـ/1339م)، 977/2، البار، ص33.

[5] **وادي تربيون:** أو الجبَانة يفصل جبل صهيون عن غرب القدس، ويبدأ حيث ينتهي وادي سلوان، وكانت ترمى فيه القمامة، ولذا سمي وادي القمامات أو وادي الزبالة، ويمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي حيث يتصل بوادي سلوان. البار، ص33.

[6] **وادي الأرواح:** يسمى بواد العفاريت، وبه مدافن للموتى ويقع غرب جبل صهيون البار، ص33.

[7] الحموي، 5/ 168.

[8] **جبل الزيتون:** ويسمى جبل الطور، يقع شرقي القدس والطور تعني الجبل، ويسمى جبل الزيتون لكثرة شجر الزيتون فيه، ويقال أن هذا الجبل كان ملاذا للسيد المسيح من أذى اليهود. العمري، ق1، 54/1.

[9] **جبل المشارف:** ويقع في الشمال الشرقي من القدس يقع والذي سمي بذلك لأنه يشرف على القدس، كما يسمى بجبل المشهد، واسمه الروماني جبل سكوبس، وارتفاعه(2840) قدما، وهو امتداد لجبل الزيتون من الشمال الشرقي حيث يفصل بينهما منخفض يسمى عقبة الصوانة الدباغ، ق1، 54/1، البار، ص26، الدباغ، ق1، 54/1، ظاظا، ص14.

[10] **جبل النبي صموئيل:** يقع في الشمال الغربي من القدس، ويبلغ ارتفاعه (885مترا)، ويبعد خمسة أميال من وسط القدس القديمة، ويشرف على المنحدرات الغربية ويطل على المنطقة الساحلية. البار، ص27، الدباغ، ق1، 54/1.

[11] **جبل المكبر:** يقع إلى الجنوب من القدس، وهو من أشهر جبالها، ومنه دخل الخليفة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– عندما فتح القدس بالصلح الشهير الذي قام به، ويبلغ ارتفاع قمته إلى (795مترا)، ويقال أن الخليفة عمر بن الخطاب عندما صعد عليه كبَّر وكبر المسلمون معه ومن وقتها صار يسمى بجبل المكبر. البار، القدس والمسجد الأقصى، ص27؛ الدباغ، ق1، 54/1.

[12] **جبل بطن الهوى:** يعد امتدادا لجبل الزيتون في الزاوية الجنوبية الشرقية للقدس، ويفصله عنها وادي سلوان الذي يتصل في هذه النقطة بوادي قدرون. ظاظا، ص11، البار، ص28، غازي، ص16.

وهي: جبل موريا[1]، وجبل بزيتا[2]، وجبل أكرا[3]، وجبل صهيون[4].

أمَّا **مدينة الخليل** فتقع على هضبة تخترقها أودية، ترتفع عن سطح البحر 940م[5]، وتشير المصادر الجغرافية إلى انخفاض موقعها الأصلي بالنسبة لمحيطها، فهي "بين وهدة من الجبال" كما يصفها الاصطخري(346هـ/957م)[6]، وبينها وبين القدس ثلاثة عشر ميلا[7].

- **المُناخ**

ترتفع الحرارة صيفا في القدس إلى الثلاثين مئوية أو ما فوقها، وتنخفض في ليل الشتاء البارد إلى ما تحت الصفر، والتفاوت كبير كذلك بين الليل والنهار في درجات الحرارة، ومطرها شتوي مثل منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط [8]. وقد وصف المقدسي مناخها بقوله "لا شديدة البرد وليس بها حرٌّ وقَلَّ ما يقعُ فيها ثلج"[9].

أمَّا مدينة الخليل فقد ساهم وقوعها جنوب فلسطين في أقصى الطرف الجنوبي للضفة الغربية، إلى تأثُّرها بمناخي البحر المتوسط والصحراء[10]، ولذلك يوجد نمطين من المناخ في الخليل: الأول مناخ البحر الأبيض المتوسط، والذي يسود معظم مناطق الخليل ويتميز بأنه ماطر دافئ نسبيا شتاء وحار جاف صيفا؛ والثاني المناخ الصحراوي والذي يسود المنحدرات الشرقية لجبال الخليل وساحل البحر الميت والذي يتميز بالدفء والحرارة المرتفعة والجفاف صيفا[11].

---

[1] **جبل موريا:** يطلق عليه جبل الحرم القدسي، أو جبل بيت المقدس، وفيه المسجد الأقصى وقبة الصخرة والساحات. البار، ص28.

[2] **جبل بزيتا:** يتصل بجبل الزيتون في الشمال الشرقي للقدس من باب الساهرة وباب حطَّة، ويتصل بجبل موريا(الحرم). البار، ص29.

[3] **جبل أكرا:** إلى الجنوب من مدينة القدس يتصل بجبل موريا ويفصله عن جبل صهيون وادٍ ضيق، وقد بنى أنطوخيوس الرابع (ت175ق.م) أحد أشهر ملوك الدولة السلوقية التي امتدت حدودها من ساحل بحر ايجة حتى الهند قلعة سماها أكرا، البار، ص29، إسماعيل، ص24.

[4] **جبل صهيون:** يقع في الزاوية الجنوبية الغربية للقدس، وهو أقدم أجزائها، بنى عليه اليبوسيون حصنا قبل خمسة آلاف عام، وصهيون تعني جبل أو تل بلغة اليبوسيين، ثم استولى داوود عليه السلام على الحصن والجبل، ومنه دخل القدس، وقد سمي آنذاك جبل داوود أو مدينة داوود، وعليه مقام النبي داوود. ظاظا، ص11؛ غازي، ص16، البار، ص29.

[5] الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، ص29.

[6] الاصطخري، ص44.

[7] ابن خرداذبه، ص79.

[8] البار، ص25.

[9] المقدسي، ص144.

[10] عبد الرحمن، ص23.

[11] الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، ص29.

ثالثا: المظهر العام للقدس والخليل

تدلنا المصادر الجغرافية على أن منهج الجغرافيين الذي اتبعوه في وصف الأماكن التي زاروها قائم على إعطاء صورة عامَّة عنها وكأنه وصف النظرة الأولى أو اللقاء الأول بالمدينة حين يصلونها، كما أن هذا الوصف يعتمد على الجانب الذي يسلب نظر الرحالة، فهم مختلفون في أوصافهم حسب مشاهداتهم.

بنيت مدينة القدس من الحجر المتقن كما وصفها المقدسي (ت336هـ/947م)[1]، وهي في نظره "بلدة جمعت الدنيا والآخرة فمن كان من أبناء الدنيا وأراد الآخرة وجد سوقها ومن كان من أبناء الآخرة فدعته نفسه إلى نعمة الدنيا وجدها وأما طيب الهواء فإنه لا سمّ لبردها ولا أذى لحرّها وأما الحسن فلا ترى أحسن من بنيانها ولا أنظف منها ولا أَنْزَهَ من مسجدها"[2].

وكان القزويني(682هـ/1283م) أكثر شمولا للوصف من سابقيه فيقول "لا ترى أحسن من بنيانها ولا أنظف ولا أنزه من مساجدها، قد جمع الله فيها فواكه الغور والسهل والجبل والأشياء المتضادة: كالاترج واللوز والرطب والجوز والتين والموز"[3]، فقد شمل النظافة والبنيان والمساجد وما وجد فيها من فواكه وزروع.

لكننا نجد آخرين لفت انتباههم المظهر الطبوغرافي للمدينة من جبال وأودية فهذا العبدري (ت700هـ/1300م) يقول عن مدينة القدس: "والبلد مدينة بيّرة منيعة محكمة كلها من صخر منحوت على نشزٍ غليظ مقطوع بجهات الأودية وسورها مهدوم خوفا من استيلاء الروم عليها، وامتناعهم بها والخراب، فيها فاش وليس بها نهر ولا بستان، وحواليها تلال مشرفة عليها[4].

[1] المقدسي، ص166، الاصطخري، ص57.
[2] المقدسي، ص166.
[3] القزويني، ص161.
[4] العبدري، ص468.

ويتبع العمري(ت749هـ/1349م) "نهج خســـرو في الحديث عن مبانيها مضـــيفا وعورتها "ومدينة القدس مبنيــة بــالحجر والكلس، وغــالــب حجرهــا أســـود، وهي وعرة المســـــالــك"[1]، ويقول عنهــا القطيعي (ت739هـ/1338م) "على جبل بين جبال شـــامخة بها قرى لها زروع وأشـــجار في الجبال، وفى المدينة أسواق وعمارات حسنة، وعليها سور دائر[2].

أما مدينة الخليل فقد وصفها الرحالة وصفا لا يقل جمالا عن وصفهم للقدس. فقد ذكر المقدسيّ (ت336هـ/947م) أنها "حصن منيع يزعم الناس أَنَّها من بناء الجنّ من حجارة عظيمة منقوشة وسطه قبّة من الحجارة إسلامية"[3]، وقد وصفها العبدريُّ (ت700هـ/1300م) "بالقرية مليحة المنظر أنيقة المسموع والمبصر، مشرقة كالصبح إذا أسفر، موضوعة ببطن واد قليل الماء والشجر والمحيط بها حرار وَعْرة"[4].

ويراها ابن بطوطة(ت779هـ/1377م) "مدينةً صغيرةَ الساحة كبيرة المقدار، مشرقة الأنوار حسنة المنظر عجيبة المخبر في بطن واد"[5]، أما عند الظاهري(ت872هـ/1468م) فهي "مدينة حسنة عدية"[6]

لكن الجمال الذي ذكرته المصادر السابقة للعمري لا نراه عنده، وإنما مكانتها جاءت مما تحويه من قداسة وأهمية دينية بوجود الخليل إبراهيم عليه السلام، فهي عند العمري(ت749هـ/1349م) "بلد غير مسورة منطوية بين جبال لا هي في صحراء ولا في واد، ولولا مكان الخليل عليه السلام بها لم تذكر فيما يذكر وإنما عادت عليها بركات ذلك المثوى الكريم، فباهت الأقطار بفضلها وتأهلت الأمصار بأهلها"[7].

---

[1] العمري، 375/3.
[2] ابن عبد الحق، 3/ 1296.
[3] المقدسي، ص166.
[4] العبدري، ص457.
[5] ابن بطوطة، ص73.
[6] الظاهري، ص24.
[7] العمري، 376/3.

رابعا: التبعية الإدارية

دخلت فلسطين تحت الحكم الإسلامي بعد انتصار المسلمين على البيزنطيين في معركتي فحل[1] واليرموك[2]، وتوجه القائد أبو عبيدة ابن الجراح(ت18هـ/639م)[3] نحو مدينة القدس وذلك عام (14هـ/635م)، وكان فيها حامية بيزنطية، وتم محاصرتها مدة أربعة أشهر، وفي رواية ثانية نحو عامين، ثم نشب قتال بين الطرفين، وتعرض المسلمون لخسائر فادحة بسبب النشاب[4] والمنجنيق[5] وطلب عمرو بن العاص(ت43هـ/ 664م)[6] المدد من الخليفة عمر بن الخطاب الذي أمر أبا عبيدة بالتوجه إلى بيت المقدس ومساعدة عمرو بن العاص، وعندما وصل المدد شعر من بداخل الأسوار أن ليس لديهم قدرة على الاستمرار في المقاومة، وطلبوا من بطريرك القدس الموافقة على تسليم المدينة، وقد وافق البطريك على ذلك بشرط أن يحضر الخليفة عمر بن الخطاب بنفسه، وحضر الخليفة عمر إلى القدس، واستلمها عمر من البطريرك[7]، ودانت القدس للحكم الإسلامي عام (15هـ/636م)، وكتب عمر لأهل القدس كتاب عهد الأمان الذي عرف في التاريخ بالعهدة

---

[1] **معركة فحل:** وقعت بين المسلمين والبيزنطيين من فلول اليرموك في منطقة فحل الواقعة إلى الشرق من نهر الأردن بين نهر الزرقاء جنوبًا، ونهر اليرموك شمالًا وجرت المعركة في "28 ذي القعدة 13هـ/ 23 كانون الثاني 635م" فتحت الطريق أمام المسلمين، فسيطروا على جميع مدن، وقرى إقليم الأردن بسهولة مثل بيسان وطبرية، وأضحوا في رغد من الخصب، والعيش واضطر السكان إلى طلب الأمان، وكتبت عهود الصلح في كل مكان بمنح الأمان على أرواح المغلوبين، وأموالهم وأرضهم وكنائسهم، وأماكن عبادتهم مقابل الجزية. طقوش، ص238.

[2] معركة اليرموك: معركة فاصلة في التاريخ الإسلامي والتي وقعت بين المسلمين والبيزنطيين، في العام الخامس عشر للهجرة النبوية الشريفة، وقد جمع فيها هرقل ملك الروم كل قواته وحلفائه من نصارى العرب وعزم على استئصال المسلمين لاستشعاره باستفحال قوتهم وخوفه على ضياع البلاد من تحت يديه، لأنه سبقها معارك خلال ثلاثة أعوام سيطر فيها المسلمون على أكثر بلاد الشام. ابن كثير،23/7. الحميدي، ص7-9.

[3] **ابو عبيدة:** عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر. وأمه أميمة بنت غنم بن جابر بن عبد العزى بن عامر بن عميرة. صحابي جليل أسلم قبل دخول رسول الله –صلى الله عليه وسلم– دار الأرقم. شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– سماه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أمين هذه الامّة، ولي الشام أيام عمر وشهد اليرموك وكان قائدا للمسلمين. ابن سعد، 269/7.

[4] **النشاب:** وهو جمع نشابة وهي الحديدةُ الموضوعةُ في رأس سَهْمٍ، أوْ رُمْح. ابن المبرد، 794/3.

[5] **المنجنيق:** آلة حربية قديمة من خشب لها دفّتان قائمتان بينهما سهم طويل الراس، وفيه تجعل كفّة المنجنيق التي يجعل فيها الحجر، يجذب حتى ترفع أسافله على أعاليه، ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذي فيه الكفّة فيخرج الحجر منه فما أصاب شيئا إلا أهلكه. القلقشندي، 152/2.

[6] **عمرو بن العاص:** وهو عمرو بن العاص بن وائل بْنِ هَاشِمِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ سَهْمٍ. ويكنى أبا عبد الله. أسلم بأرض الحبشة وقدم المدينة على رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم– مهاجرًا سنة(8هـ/629م)، صحب رسول الله –صلى الله عليه وسل–م واستعمله على غزوة ذات السلاسل. فتح مصر لعمر بن الخطاب الذي ولاه إياها حتى مات. وولاه عثمان بن عفان مصر سنين ثم عزله. ابن سعد، 7/ 342.

[7] عبد اللطيف، ص416، المرصفي، 1753/4.

العمرية[1]، حيث جاء فيها "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان: أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم: سقيمها وبريئها وسائر ملّتها، إنه لا تسكن كنائسهم، ولا تُهدم، ولا يُنتقص منها ولا من خيرها، ولا من صلبهم، ولا شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضارّ أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود! وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية، كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية! ومن أحبّ من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم، وعلى بيعهم وصلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم، فمن شاء منهم قعد، وعليهم مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الرّوم، ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتّى يحصدوا حصادهم! وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمّة رسوله، وذمّة الخلفاء، وذمّة المؤمنين، إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية. شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعبد الرحمن بن عوف، وعمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان"[2]. إن هذه العهدة تدل بما لا يدع مجالا للشك أن القدس تحت الإدارة الإسلامية كانت حاضنة للجميع دون أي تفرقة على أساس ديني أو أثني أو طائفي، وإنَّما عاش الجميع في ظل الحكم الإسلامي بكل أمن وطمأنينة وسلام دون خوف على أنفسهم وأموالهم وأملاكهم.

ويرى المستشرق غوستاف لوبون أنه كان لفتح القدس دوي عظيم بين المدن التي استولى عليها المسلمون، لأنهم كانوا يعلقون أهمية كبيرة على فتحها لتقديسهم إيَّاها كما كان يقدسها النصارى لأنَّ المسيح عند المسلمين من أعاظم الأنبياء، ولأن الصخرة هي معراج الرسول –صلى الله عليه وسلم– إلى السماء، ولذلك كان هجومهم عليها بنفس الشدة التي أبداها النصارى في الدفاع عنها ولذلك حلت راية الإسلام محل راية الصليب[3].

---

[1] **العهدة العمرية:** الوثيقة التي عقدها عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– مع نصارى بيت المقدس. عمر، 1569/2.

[2] المرصفي،1753/4، السقَّار، ص17، علي،84/1.

[3] لوبون، ص164.

وتجدر الإشارة إلى أن بيت المقدس أصبحت تابعة لجند فلسطين، وعرفت بكورة إيلياء، وكانت فلسطين من نصيب يزيد بن أبي سفيان[1] أما مدينة القدس فتبعت جند فلسطين وأول أمير لها هو يزيد ابن أبي سفيان على أن يكون تابعاً لأبي عبيده، وعين الخليفة عمر الصحابي عبادة بن الصامت[2] أول قاض على فلسطين[3].

أما الخليل فكانت تابعة للقدس من الناحية الإدارية وهذا يظهر من خلال النصوص الجغرافية التي وردت فيها بعض الإشارات الدالة على ذلك منها ما أورده ابن شداد في الأعلاق الخطيرة بقوله: "ولم يزل حكم هذه المدينة في الولايات حكم ما تقدمها من بلاد هذا الجند إلى ان أخذ الفرنج القدس في سنة اثنين وتسعين وأربعمائة فاستولوا عليها لأنها ضمناً وتبعاً للقدس"[4] فهي تابعة للقدس بحيث تتبع تلقائيا لمن يسيطر عليها لأنها ضمن نطاقها الإداري. ولذلك نراها تتبع تلقائيا للفرنج بمجرد سقوط القدس وسيطرتهم عليها.

وفي صدر الإسلام كانت الخليل قرية متواضعة من أعمال بيت جبرين في جند فلسطين وبعد حروب الفرنجة ضمَّت إلى غزة[5]. وفي أواخر العهد المملوكي كانت حدود الخليل تبدأ من تل الملح[6] على طريق الحجاز وقباب الشاورية[7] ومن الشرق عين جدي وبحر لوط[8]، ومن الشمال منطقة القدس الشريف، ومن الغرب من

---

[1] **يزيد بن أبي سفيان:** يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وأمه زينب بنت نوفل بن حلف بن قوالة، من بني كنانة، أسلم يوم فتح مكة، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حُنَيْنا، وعقد له أبو بكر الصديق رضي الله عنه مع أمراء الجيوش إلى الشام، ولاه عمر بن الخطاب دمشق، فلم يزل واليا بها حتى مات في طاعون عمواس سنة(18هـ/639م). ابن سعد، 405/7.

[2] **عبادة بن الصامت:** بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج. شهد بيعة العقبة مع السبعين وهو أنصاري، شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مات بالرملة من أرض الشام سنة(34هـ/665م) وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، ويقال إنه بقي حتى توفي في خلافة معاوية بن أبي سفيان بالشام. ابن سعد، 3/ 412.

[3] امطير، ص31.

[4] ابن شداد، ص104.

[5] الدباغ، ق2، 10/5.

[6] **منزل الملح:** تعرف بتل الملح الواقعة للشرق من مدينة بئر السبع على بعد 24كم منها. الدباغ، ق2، 10/5

[7] **قباب الشاورية:** قرية منسوبة إلى بني شاور أمراء قبيلة جرم، وهم بطن من طيء القحطانية وبلادهم غزة والداروم مما يلي الساحل إلى الجبل وبلد الخليل. الدباغ، ق2، 10/5.

[8] **بحر لوط:** يقع جنوب طبرية وهو مالح المياه وكانت مدينة لوط تقع على شاطئه ولم يبقى منها أثر قط، وهو ما يسمى اليوم البحر الميت، خسرو، ص53، البلادي، ص277.

الجهة المحاذية للرملة قرية زكريا، ومن الجهة المحاذية لمدينة غزة قرية سَيْسَمَح[1] المجاورة لقرية السكرية وبلاد بني عبيد من أعمال بلد الخليل[2].

خامسا: علاقة السلطات الحاكمة بالسكان

تعتبر العلاقة بين الحكام والرعايا من العلاقات الشائكة على مرِّ التاريخ، وكثيرا ما تميَّزت تلك العلاقات بالتذبذب ووصلت إلى الثورات في كثير من الأوقات، وذلك لاستشعار الرعية قديما وحديثا بالظلم والتقصير من قبل الحاكم بواجباتهم وانتقاص حرياتهم والتضييق عليهم في كثير من شؤون الحياة.

ورغم ذلك فلم تخلُ تلك الطبيعة في العلاقة بين الحاكم والرعية من ود وإعجاب في بعض مراحل التاريخ، خصوصا إذا رأت الرعية من الحاكم ليونة وطمأنينة وتحققت رغباتها في العيش الكريم ولو بنسب متوسطة على الأقل، فهموم الناس في معظمها تتعلق بظروف العيش واستشعار الحرية والحفاظ على الكرامة، وإذا ضمن الحاكم لها ذلك وحقق العدالة فإن ذلك مبعثٌ على الهدوء والطمأنينة وإطالة أمدِ الحكم وعمر النظام الحاكم، والاستقرار في دفء العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

عندما فتح المسلمون القدس واستلمها عمر بن الخطاب أمَّن أهلها وكتب لهم عهد الأمان الذي عرف بالعهدة العمرية[3] فأمَّن السكان فيها على كل شؤون حياتهم، والتي فاعتبرت على رقي التعامل بين من قبل المسلمين بسكان القدس من النصارى والذين استشعروا العدل والحرية في العهد الإسلامي بعد أن أمَّنهم على أنفسهم وأموالهم ومنع أي انتقاص من حقوقهم، وبالتالي فعلاقة السكان بالحكام والولاة في العصر الراشدي كانت علاقة طيبة تحكمها الحقوق والواجبات، دون أي اعتداء أو تقصير، وهذا دليل على عدالة المسلمين وصدقهم في العهود والمواثيق.

---

[1] **سَيْسَمَح**: ذكرها الحنبلي في الأنس الجليل باسم سيمح. الحنبلي،2/83-84. ويعتقد أنها قرية سمح المهجرة.

[2] الدباغ، ق2، 11/5، الحنبلي،2/83-84.

[3] الطبري، 3/ 609، صفوت، 175/1.

وقد أظهرت العهدة العمرية إنصافا للنصارى لم يتهيأ لهم في التاريخ، ولم يكن لهم رجاء في مثله، وهي في حد ذاتها ظاهرة ملفتة، ومميزة في العلاقات المتبادلة بين الأديان، وتكشف لنا جوانب مهمة عن طبيعة التفاهم بين المسلمين والنصارى، ونوع العلاقات بينهما في تلك الحقبة من الزمن، فقد كان سكان القدس ذو أغلبية نصرانية عندما فتح عمر بن الخطاب المدينة المقدسة[1].

وفي العهد الأموي كانت فلسطين شبه مستقرة إلا من بعض الأحداث في مراحل معينة، فقد أحبها الخلفاء الأمويون، وقيل "أن الخليفة الوليد بن عبد الملك تقبل بيعة الناس وهو على سطح الصخرة وكان ينوي أن يتخذها مقرا للخلافة"[2]. كما أحب الخليفة سليمان بن عبد الملك فلسطين أيضا وبويع أيضا على سطح الصخرة وكان يحب الجلوس في قبة السلسلة ومن حوله الناس على الكراسي والوسائد وإلى جانبه الأموال وكتاب الدواوين وقيل أنه كان ينوي أن يتخذ القدس أو الرملة عاصمة له[3]. وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على الرضا الشعبي من قبل السكان في فلسطين على الحكم الأموي وذلك منبعه من اهتمام الأمويين بالقدس والأقصى وإظهار حبهم لفلسطين ومدنها بشكل عام، مما أوجد حالة من القبول بين السكان للحكم الأموي.

لكن في زمن مروان بن محمد[4] وبعد أن ساءت الأحوال وانتشر الفساد في جميع أنحاء البلاد ثار أهل فلسطين على الحكم الأموي بقيادة الحكم بن ضبعان بن روح بن زنباع[5] زعيم فلسطين آنذاك[6]، وهذا طبيعي لأننا في عصور الظلم والفساد نجد انتشار الثورات والمشاكل المختلفة واضطراب الأوضاع بسبب سوء

---

[1] طقوش، ص278.

[2] العارف، ص52.

[3] المرجع نفسه، ص53.

[4] **مروان بن محمد:** هو مروان بن محمد بن عبد الملك بن مروان الأموي ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية، الأموي، يعرف: بمروان الحمار، وبمروان الجعدي؛ نسبة إلى مؤدبه: جعد بن درهم وهو آخر خلفاء بني أمية. الذهبي. 74/6.

[5] **الحكم بن ضبعان:** وهو الحكم بن ضبعان بن روح بن زنباع الجذامي من أهل فلسطين غلب عليها حين هرب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية من جيوش بني العباس. ابن عساكر، 15/ 10.

[6] الطبري، 439/7، مسكويه، 328/3، العارف، ص53.

الأحوال وتقصير الدولة في أداء واجباتها تجاه السكان هذا غير الظلم الذي يلحق بهم من قبل الحكام والولاة الظلمة.

وقد كانت القدس شبه مستقرة في نهاية العصر العباسي[1]، وفي العصر المملوكي كان هناك بعض المنغصات على العلاقة بين الرعية والحكام أو نوابهم في بيت المقدس وتوابعها بما فيها مدينة الخليل منها معاناة الفلاحين من جراء النظام الإقطاعي الذي ساد في ذلك العصر نظرا لما اقترن به من استغلال وظلم وعسف، وقاسى الفلاحون شر ما يقاسي الإنسان المستعبد، وتصور لنا بعض المصادر مدى ما آلت إليه أحوال العامة وخصوصا الفلاحين في ذلك الوقت الذين كانوا يعانون من الضرائب الكثيرة التي يفرضها النواب عليهم، يحث يجبرونهم على البقاء في الإقطاعات التي يعملون فيها رغما عنهم وزراعتها حتى لو كان في ذلك خسارة لهم بسبب حجم الضريبة المفروضة رغم أن الفلاح ليس عبدا وهو أمير نفسه[2].

وقد كانوا يجبرون النازحين من قراهم والذين يتركون فلاحة الأرض بسبب عدم قدرتهم على تحمُّل الضريبة المفروضة على العودة رغما عنهم وإلزامهم بالفلاحة"[3] وكان هذا ضربا من ضروب التضييق على الناس من قبل المتنفِّذين آنذاك سواء كانوا نوابا أو إقطاعيين متحالفين مع الدولة والذين كانوا يبررون ذلك بالقانون المعمول به في زمانهم ويصف ذلك السَّبكي بقوله "من قبائحهم أنهم إذا اعتمدوا شيئًا ممَّا جرت به عوائدهم القبيحة يقولون: هذا شرع الديوان؛ والديوان لا شرع له، بل الشرع لله تعالى ولرسوله –صلى الله عليه وسلم"[4].

وكان بعض السلاطين إذا عرفوا بتلك المغارم والمظالم رفعوها عن الناس خصوصا أثناء زياراتهم أو مرورهم بالمدن والأقاليم، ومن ذلك أن السلطان ططر (ت824هـ/1421م) "مر في طريقة بمدينة القدس فرُفع إليه أن من عادة نائبها أن يجبي كل سنة من فلاحي الضياع نحو أربعة آلاف دينار وبسبب ذلك خربت معاملة

[1] العارف، ص58.

[2] السبكي، ص33.

[3] المصدر نفسه، ص33.

[4] المصدر نفسه، ص33.

القدس فعوض النائب عن ذلك. ونادى بإبطال هذه المغارم ونقشه على حجر بالمسجد فتباشر الناس بأيامه ورجوا أن يزيل الله عنهم به ما هم فيه من الجور"[1]، وهذا يدل على أن كثيرا من الأمراء والنواب كانوا يمارسون تلك المظالم دون علم الدولة أو السلاطين ويقومون باستغلال الناس مبررين ذلك بما جرت عليه عادات من قبلهم إضافة إلى تبرير ذلك كذبا بالقانون رغم أن القانون لا يعني إرهاق الناس بالضرائب والمفروضات ودليل ذلك أبطال السلاطين لتلك الممارسات عند علمهم بها.

وقد كان علماء الدين أيضا يتصدون لبعض تلك المظالم حين علمهم بها كما حدث عندما أراد أمير عرب جرم أن يجدد مظلمة على الفلاحين بجبل القدس الشريف ويأخذ منهم مالا، فقام في ذلك شيخ الإسلام نجم الدين بن جماعة(ت901هـ/1496م)[2] شيخ المدرسة الصلاحية ومنعه من ذلك، وجلس بالمسجد الأقصى عند الشباك المطل على عين سلوان وجلس معه شيخ الإسلام الكمالي ابن ابي شريف[3] والقضاة والمشايخ وكتبوا محضرا ووضعوا خطوطهم به أن ذلك لم تجرِ به عادة قبل اليوم، وجهز المحضر إلى نائب السلطان ولم يمكن أمير جرم من أَخذ شيء من الفلاحين"[4].

ونستنتج من كل ما سبق أن الهوية الديموغرافية للقدس والخليل تبدلت على مر العصور والأزمان بفعل السيطرة المتعاقبة من قبل الغزاة عليها، فبعد أن كانت كنعانية خالصة أصبح هناك العنصر العبراني ثم

---

[1] **السلطان ططر:** أحد سلاطين المماليك حكم شهرين فقط خلال سنة (824هـ/1421م) وجاء بعده ابنه محمد بن ططر الذي حكم سنة واحدة، يعد ططر من أعظم الخبراء بين سلاطين المماليك في استعمال الخدع والمكائد. هوتسما وآخرون، 11/ 3548.

[2] **نجم الدين بن جماعة:** محمد بن إبراهيم بن عبد الله، أبو البقاء، نجم الدين ابن جماعة المقدسي الشافعيّ: فقيه، تزيد شيوخه على (300) استقر في مشيخة الصلاحية ببيت المقدس. وخطب بالأقصى وحدَّث وأفتى وصنف كتبا، منها "الدر النظيم في أخبار موسى الكليم و"النجم اللامع" شرح جمع الجوامع، لابن السبكي. توفي بعد(901هـ/1496م). الأعلام، 301/5.

[3] **الكمالي بن ابي الشريف:** محمد بن محمد بن أبي بكر بن علي، كمال الدين أبو المعالي ابن الأمير ناصر الدين بن أبي شريف المقدسي، الشهير بابن عوجان. ولد سنة (822هـ/1419م) بالقدس الشريف، ونشأ في عفة، وصيانة، وديانة، ورزانة، وحفظ القرآن العظيم، وبعض المتون، وألفية ابن عالك، وألفية الحديث، وقرأ القرآن بالروايات على الشيخ أبي القاسم النويري، وقرأ في العربية والأصول والمنطق والعروض واصطلاح أهل الحديث، وأذن له بالتدريس فيها في سنة أربع وأربعين وثمانمائة، ورحل إلى القاهرة سنة أربع وأربعين، وأخذ من علمائها، توفي سنة(912هـ/1506م). الغزي، 1/ 9.

[4] الحنبلي، 346/2.

الروماني والفارسي واليوناني بكل ما يتعلق بهذه الشعوب من آثار ومخلَّفات بعضها ما زال موجودا إلى اليوم وبعضها اندثر، لكن ذلك لم ينفي صورتها العربية الكنعانية الأصيلة رغم تعاقب الغزاة وتنوعهم.

أما العلاقة بين سكان القدس والخليل وبين حكامها على مرة التاريخ فتشير المصادر إلى تذبذب تلك العلاقة بناء على سياسة الدولة ودرجة انتماء سكان كل حقبة إلى الدولة المسيطرة، فنجد الكنعانيين يحاربون العبرانيين الغزاة، ثم يغيب ذكر الكنعانيين قليلا في فترة السيطرة العبرانية عليها وهذا عائد إلى عمليات القتل والتهجير التي كان العبرانيون يقومون بها ضد السكان الأصليين من الكنعانيين، ثم نجد بعد ذلك العنصر العبراني ثائرا ضد الفرس ومرة ضد الرومان واليونان وارتكاب المجازر بحقه من قبل تلك الإمبراطوريات المتلاحقة، ثم يظهر العنصر المسيحي بعد اعتناق الإمبراطورية الرومانية للمسيحية، وعندما جاء العهد الإسلامية نجد حالة من الاستقرار في القدس في ظل أغلبية مسيحية حفظ لها الإسلام حقوقها وصان مقدساتها، واستمر ذلك أيام الأمويين، كما حصلت بعض الاضطرابات في العصر العباسي مردُّها ولاء الشام وفلسطين لشكل عام للأمويين.

ونجد بعض العسف ضد السكان في المراحل المتأخرة من الدولة العباسية وأيام الأيوبيين والمماليك ناتج عن طبيعة النظام الإقطاعي وجور بعض الولاة في الضرائب وسياستهم القمعية ضد الفلاحين مما ترك آثارا اجتماعية واقتصادية سيئة في بعض الأوقات.

سادسا: مظاهر اهتمام الحكام والولاة بالقدس والخليل

هناك كثير من المظاهر التي تدلنا على اهتمام الحكام والولاة بمدينتي القدس والخليل من خلال المحافظة عليهما ورعايتهما وتجديد الأبنية والمقامات الموجودة فيهما، إضافة إلى قيام بعضهم بزيارة إحداهما أو كليهما رغبة في الأجر وتعظيما للمقام الشريف التي تتمتعان به في الإسلام كمدينتين مرتبطتين بالعقيدة الإسلامية والتاريخ الإسلامي وأنبياء الله تعالى الذين بعثهم لإخراج الناس من الظلمات إلى النور وعلى رأسهم سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– وأبينا إبراهيم –عليه السلام–.

ومن مظاهر اهتمام المسلمين بمدينة القدس هو زيارة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب(ت23هـ/644م) لها عند فتحها، وحرصه في الحفاظ على قدسيتها وتعظيم شأنها وحفظ حقوق أهلا مسلمين وغير مسلمين وهذا يظهر من خلال العهدة العمرية التي كتبها لأهلها من النصارى والتي ما زالت إلى يومنا هذا شاهد على عظمة الإسلام والمسلمين وحسن أخلاقهم وإنسانيتهم في التعامل مع غير المسلمين.

ويرى المستشرق غوستاف لوبون[1] أنه كان لفتح القدس دوي عظيم بين المدن التي استولى عليها المسلمون، لأنهم كانوا يعلقون أهمية كبيرة على فتحها لتقديسهم إيَّاها كما كان يقدسها النصارى لأنَّ المسيح عند المسلمين من أعاظم الأنبياء، ولأن الصخرة هي معراج الرسول –صلى الله عليه وسلم– إلى السماء، ولذلك كان هجومهم عليها بنفس الشدة التي أبداها النصارى في الدفاع عنها ولذلك حلت راية الإسلام محل راية الصليب[2].

أما في العهد الأموي، فقد اهتم بها الخلفاء الأمويون اهتماما كبيرا واعتنوا بها عناية تامَّة نظراً لأهميتها الدينية، وترددوا عليها كثيرا، حيث أخذ فيها ثلاثة خلفاء البيعة لأنفسهم[3]، وقد سبق الحديث عن بناء عبد الملك بن مروان للمسجد الأقصى المبارك عام(74هـ/693م) الذي انجز في عهد ابنه الوليد عام (86هـ/705م) بعد أن خصص له خراج مصر سبع سنوات، هذا بالإضافة إلى ما قاموا به من بناء لمجموعة من القصور في مدينة القدس[4].

كما رغب سليمان في الإقامة ببيت المقدس واتخذها منزلا وقام بتحويل عاصمة ملكه من دمشق إلى بيت المقدس فكان للقدس وال خاص وقاض خاص، ودرس إمكانية اتخاذها عاصمة. فوجد أن المراكز الإدارية

---

[1] **غوستاف لوبون:** علامة فرنسي توصل من خلال رحلاته وأبحاثه إلى أن العرب هم الذين مدنوا أوربا، فرأى أن يبدي عصر العرب الذهبي للعالم بصدق، فأخرج في سنة 1884 كتاب "حضارة العرب". لوبون، حضارة العرب، مقدم المترجم ص27، كما كان من أشهر حكماء الاجتماع وفلاسفة التاريخ، اشتهر في الشرق كما اشتهر في الغرب بما ترجم من كتبه الاجتماعية باللغات الشرقية ككتاب تطور الأمم، وكتاب روح الاجتماع، وبما كتبه في تاريخ أعظم أمم الشرق؛ ككتاب حضارة العرب وكتاب حضارة الهند. رضا، مج19، ص574.

[2] لوبون، ص164.

[3] امطير، ص31.

[4] المرجع نفسه، ص32.

كانت قواعد للمقاتلة وتلبي حاجاتهم إلى المراعي والمناخ وتكون مرتبطة مباشرة بشبه الجزيرة العربية، ولم تكن المدينة مناسبة لهذا الغرض لذلك عاد وتخلى عن تلك الفكرة[1]

وفي زمن العباسيين اهتم الخلفاء بها اهتماما كبيرا وخاصة في عهد الخليفة ابو جعفر المنصور[2]، الذي زار القدس بنفسه مرتين، الأولى سنة (141هـ/758م) حيث زارها وصلى فيها لنذر يقال أنه كان قد نذره[3]، وفي هذه الزيارة أمر المنصور بإعادة بناء المسجد الأقصى المبارك بعد أن اقتلع الذهب عن أبوابه من أجل الإنفاق على إعماره[4]، ولقد أظهر أبو جعفر المنصور رعاية تامة للمسجد الأقصى، خاصة بعد أن ضربه زلزال هدم بعض أقسامه، حيث أمر ببناء المسجد وأروقته بطريقة أفضل مما كان عليه من قبل، وكان ذلك سنة (154هـ/771م)[5].

وقد أمر أبو جعفر المنصور بقلع صفائح الذهب والفضة التي كانت ملبَّسة بها أبواب المسجد الأقصى وأمر بصرفها دنانير تنفق على عمارته[6].

وقد تعرضت فلسطين لهزة أرضية عام (158هـ/774م)، نجم على أثرها هدم المسجد الأقصى المبارك، لدرجة أن جميع المباني في المدينة تأثرت سلباً؛ مما أدى إلى عدم قدرة الناس على تأدية الصلاة فيه لمدة طويلة، وبقي المسجد خراباً حتى قدوم الخليفة المهدي إلى مدينة القدس عام (163هـ/780م) وقد أمر بإعادة بنائه[7].

---

[1] البرغوثي، ص44.

[2] **أبو جعفر المنصور**: عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين، ولد سنة خمس وتسعين توفي محرماً على باب مكة في سادس ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة. الكتبي، 216/2.

[3] المسعودي، 304/3.

[4] امطير، ص32.

[5] المقدسي، ص168.

[6] الحنبلي، 281/1.

[7] الحنبلي، 283/1، امطير، ص32.

وفي زمن المأمون، تعرضت القدس لهزة أرضية هدمت المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة وذلك في أوائل القرن (الثالث الهجري/أوائل القرن التاسع الميلادي)، فأوعز الخليفة المأمون بإعادة تعميرها عام (210هـ/825م)، فضلاً عن قيام المأمون بإجراء إصلاحات واسعة في المنشآت الدينية في بيت المقدس، خاصة مسجد قبة الصخرة المشرفة[1].

وفي العهد الفاطمي نجد اهتماما ملحوظا بالقدس حيث أنشأوا فيها بعض المؤسسات الهامة كدار العلم الفاطمية والمستشفى الفاطمي وبعض الخانات لتسهيل أمور التجارة[2].

ومن مظاهر الاهتمام بالأقصى وتوابعه فيدل عليها ما ذكره القزويني (682هـ/1283م) من أنه: "كان يسرج فيه ألف وخمسمائة قنديل، ويسرج في الصخرة أربعمائة وستون قنديلا، وكانت وظيفته كل شهر مائة قسط زيتا، وفي كل سنة ثمانمائة وألف ذراع حصيرا"[3]، وكان له من الخدم مائتان وثلاثون مملوكا، أقامهم عبد الملك بن مروان(65هـ-86هـ/684م-705م) من خمس الأسرى ولذلك يسمون الأخماس وكان رزقهم من بيت المال[4].

أما مدينة الخليل فإنَّ أهميتها الدينية تنبع من وجود قبور الأنبياء فيها وأبرزهم سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام والذي يعتبر أَبا للمسلمين والذي سميت هذه المدينة باسمه، وقد قال الله تعالى فيه: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾[سورة النساء:125]. وقد أخبرنا القران الكريم أن سيدنا ابراهيم ليس يهوديا ولا نصرانيا وانما دينه الإسلام الحنيف: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧﴾ [سورة آل عمران:67]. وبالتالي فمدينة الخليل تحمل طابعا إسلاميا جعل المسلمين وحكامهم تاريخيا يهتمُّون اهتماما كبيرا بها على مر العصور الإسلامية.

---

[1] امطير، ص33.

[2] المقدسي، ص179.

[3] القزويني، ص162.

[4] المصدر نفسه، ص163.

وقد بدأ الاهتمام بمدينة الخليل من قبل المسلمين من أول يوم فتحوا فيه فلسطين، في عام (15هـ/636م) فكان أول ما فعله المسلمون إصلاح الدمار الذي كان قد لحق بالمغارة التي دفن فيها إبراهيم عليه السلام وأسرته، وأقاموا المحراب باتجاه القبلة[1].

وقام من السلاطين والأمراء والقادة برعاية المسجد الإبراهيمي في الخليل وأوقفوا عليه كثير من الأراضي والمزارع والعقارات والقرى لتصرف في مصالحه وصالح رواده من المسلمين، ففي زمن الأمويين بنى المسلمون المسجد فوق الغار الذي يحوي قبور الأنبياء وهو المسجد المعروف بالمسجد الإبراهيمي، وقام الخلفاء العباسيون والفاطميون بتعميره وتجديده وصيانته[2].

وفي فتر الاحتلال الصليبي وبالتحديد سنة(513هـ/1119م) في عهد بلدوين[3] حدث أن انخسف موضع في المغارة التي فيها قبور الأنبياء، فدخل جماعة من الفرنج إليها بإذن الملك، فوجدوا فيها إبراهيم واسحق ويعقوب وقد بليت أكفانهم، وهم مسندون إلى حائط ورؤوسهم مكشوفة، فجدد الملك بلدوين أكفانهم، ثم سد الموضع[4].

ولما حررها السلطان الملك الناصر صلاح الدين عند تحريره للقدس، في رجب سنة(583هـ/1187م) بني القبة والجامع، ووقف عليه وقوفا برسم الواردين عليه، وهي التي تسمى "ضيافة الخليل"[5].

كل ما سبق يدل دلالة واضحة على اهتمام الحكام على مر العصور بمدينتي القدس والخليل، والعناية بهما لما لهما من أهمية دينية إسلامية ومسيحية وهذا يفسر اهتمام حتى الحكام الفرنج بالإصلاحات فيهما وخاصة فيما يتعلق بالمقدسات المسيحية في مدينة القدس أو إصلاح خسف مغارة الأنبياء في الخليل.

---

[1] الشريدة، ص72.

[2] المرجع نفسه، ص63.

[3] **بغدوين:** أحد ملوك الإفرنج في مملكة بيت المقدس الصليبية زمن الاحتلال الصليبي للقدس، كان شجاعا مهيبا خبيثا استفحل شره توفي سنة (508هـ/1114م). الصفدي،112/10.

[4] ابن شداد، ص104.

[5] المصدر نفسه، ص104.

الفصل الثاني

الأوضاع العمرانية

أولا: العمران والمنشآت

تعدُّ مدينتا القدس والخليل من أهم المدن الفلسطينية نظرا لعراقتهما ومكانتهما الدينية والتاريخية، فالقدس تمثل قبلة المسلمين الأولى فوق ما فيها من آثار عربية وإسلامية منذ أقدم العصور إضافة إلى احتوائها على الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية كالمسجد الأقصى المبارك وكنيسة القيامة وغيرها من الأماكن والمعالم الأثرية والدينية. وينسحب الأمر كذلك على مدينة الخليل التي تحوي الحرم الإبراهيمي وهو ما يشكل معلما حضاريا إسلاميا خاصة لاحتوائه على قبور بعض الأنبياء وزوجاتهم، إضافة إلى عروبتها وقدمها في الإنشاء والعراقة.

ونظرا للأهمية الكبرى لهاتين المدينتين فقد أولاهما الخلفاء والحكام المسلمون على مر العصور اهتمامًا بالغًا من حيث الإنشاءات والتحصينات والاهتمام بالأماكن المقدسة زخرفة ومعمارا وصيانة وبناءً. وهذا ما يفسر كثرة الآثار الحضارية والمعمارية التي مازالت موجودة فيهما تحكي تاريخا من الحضارة والعراقة والاهتمام، وتشكل بمجموعها هوية ثقافية عربية إسلامية لهذه البلاد عامة ولهاتين المدينتين على وجه الخصوص.

احتوت كتب الجغرافيين العرب الذين زاروا هذه البلاد على كثير من التفاصيل المتعلقة بالتراث المعماري للقدس والخليل، بل تعمَّقوا في الوصف الدقيق للكثير من المعالم التراثية الموجودة فيها وعلى رأسها المسجد الأقصى وقبة الصخرة والحرم الإبراهيمي إضافة إلى كنيسة القيامة وغيرها من الأماكن المقدسة التي ستتناولها هذه الدراسة. وستتناول الجانب العمراني لمدينتي القدس والخليل وأوصافهما وكيف رآهما الجغرافيون حين زاروهما في العصور المختلفة. وأبرز تلك المعالم:

- **المسجد الأقصى:** يعدُّ المسجد الأقصى من أبرز الآثار الحضارية والعمرانية الإسلامية الموجودة في مدينة القدس، فهو كنز حضاري معماري تراكمت مفاصله العمرانية عبر العصور المختلفة، فقد مرت عليه حقب مختلفة تركت فيه كثيرا من الآثار العمرانية بكل أشكالها وتفاصيلها بناءً وتطويرا وزخرفة، ومنبع هذا الاهتمام عند المسلمين كونه يشكل حلقة وصل بين السماء والأرض، فهو معراج نبي الإسلام وقبلة المسلمين إضافة إلى مشاركة الأنبياء في بنائه.

تخبرنا الأحاديث والأدلَّة الأثرية على أن المسجد الأقصى قديم البناء وأنَّه بني بعد المسجد الحرام بأربعين سنة، فعن أبي ذر –رضي الله عنه–، قال: قلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع أول؟ قال: "المسجد الحرام". قلت: ثم أي؟، قال: "ثم المسجد الأقصى" قلت: كم كان بينهما؟ قال: "أربعون، ثم قال: حيثما أدركتك الصلاة فصل، والأرض لك مسجد"[1].

وقد وردَ أنَّ أساس المسجد الأقصى من عمل نبي الله داوود –عليه السلام–[2]، وقد أتمَّه ابنه نبي الله سليمان –عليه السلام– وذلك بعد بناء الكعبة بأربعين سنة، ويذكر الظاهري (ت872هـ/1468م) في زبدة كشف الممالك أن أول من بنى مسجد بيت المقدس هو نبي الله يعقوب –عليه السلام–[3].

اعتاد العرب والمسلمون على تسمية المسجد القبلي (المغطى) القائم إلى الجنوب من مسجد قبة الصخرة المشرفة بـ"المسجد الأقصى المبارك"، وفي الحقيقة أن المسجد الأقصى الذي ورد ذكره في القرآن الكريم يشمل الحرم القدسي الشريف بأجمعه، ومسجد الصخرة، والمسجد القبلي، وكل ما في داخل السور[4]، فالمسجد الأقصى هو جميع ما يحيط به السور، وهو المعروف بالسور السليماني[5].

---

[1] البخاري، ح(3725)، 162/4.

[2] المقدسي، ص168، القزويني، ص161.

[3] الظاهري، ص18.

[4] شراب، ص56.

[5] العمري، 543/3، الحنبلي، 64/2.

ويحاط الحرم بسور له عدة أبواب منها ما هو مفتوح، ومنها ما هو مغلق، فالمفتوح منها باب الأسباط[1]، وباب حطة[2]، وباب شرف الأنبياء، وباب الغوانمة، وباب الناظر[3]، وباب الحديد[4]، وباب القطانين[5]وباب المتوضأ[6]، وباب السلسلة[7]، وباب المغاربة[8]، أما باب السكينة[9]، وباب الرحمة[10]، وباب التوبة[11]، فهي أبواب مغلقة [12].

يقع المسجد الأقصى فوق جبل موريا في الجنوب الشرقي للقدس العتيقة، ويبلغ طول الضلع الغربي له (490م)، والشرقي (474م)، والشمالي (321م)، والجنوبي (283م). ويضم داخل أسواره عددا كبيرا من الأبنية الإسلامية، أشهرها مسجد قبة الصخرة. أما أقسام المسجد الأقصى: فيقابل الداخل إلى المسجد من

[1] **باب الأسباط:** أحد أبواب المسجد الأقصى مدخله مقوس وارتفاعه أربعة أمتار جدد في الفترة الأيوبية عام(610هـ/1213م). عبد ربه، ص21.

[2] **باب حطة:** من أقدم أبواب المسجد الأقصى المبارك، يقع على سوره الشمالي جدد في الفترة الأيوبية ولا يعرف أول من بناه، وإن كان بعض العلماء، هذا الباب بسيط البناء، محكم الصنعة، مدخله مستطيل، وتعلوه مجموعة من العلاقات الحجرية، كانت فيما مضى تستخدم لتعليق القناديل. سمي باب حطة لأن الله تعالى أمر بني اسرائيل أن يدخلوا منه. الحنبلي، 29/2.

[3] **باب الناظر:** يسمى باب الحبس وباب المجلس وباب ميكائيل وباب علاء الدين البوصيري وباب الرباط المنصوري، مدخله مستطيل وارتفاعه أربعة أمتار ونصف جدد بناؤه في الفترة الأيوبية عام600هـ/1203م.

[4] **باب الحديد:** يسمى أيضا باب أرغون وه أسم تركي يعني الحديد بالعربية، وقد سمي بهذا الاسم نسبة إلى جده الأمير أرغون الكاملي المتوفى عام758هـ-1356م، ومدخله صغير مستطيل.

[5] **باب القطانين:** من أجمل وأبواب المسجد الأقصى يفضي إلى سوق القطانين المحاذي له وهذا مصدر اسمه، مدخله مستطيل بارتفاع أربع أمتار، وقد جدده السلطان المملوكي محمد بن قلاوون عام737هـ/1336م.

[6] **باب المتوضأ:** ويسمى أيضا باب المطهرة وقد اتخذ اسميه من مكان الوضوء الذي يفضي اليه خارج المسجد، مدخله مستطيل بارتفاع ثلاثة أمتار ونصف وقد جدد في عهد الأمير علاء الدين البوصيري المملوكي سنة666هـ/1266م.

[7] **باب السلسلة:** من أبواب المسجد الأقصى له مخلان يسمى السلسلة وهو مفتوح، له مدخل مستطيل بارتفاع أربعة أمتار ونصف وقد جدد بناؤه في الفترة الأيوبية عام600هـ/1203م.

[8] **باب المغاربة:** يعرف أيضا بباب البراق وباب النبي حيث يعتقد أن الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- قد دخل منه إلى المسجد الأقصى ليلة الإسراء والمعراج، مدخله مقوس، وأعيد بناؤه في عهد السلطان المملوكي محمد بن قلاوون عام713هـ/1313م.

[9] **باب السكينة:** إحدى مداخل باب السلسلة وهو مقفل ولا يفتح إلا للضرورة له مدخل مستطيل بارتفاع أربعة أمتار ونصف وقد جدد بناؤه في الفترة الأيوبية عام600هـ/1203م.

[10] **باب الرحمة:** جزء من الباب الذهبي الذي يتكون من بوابتين الرحمة والتوبة يقع في الحائط الشرقي على بعد 200متر إلى الجنوب من باب الأسباط يؤدي مباشرة إلى الحرم وسمي بالباب الذهبي لجماله يعود للعصر الأموي. وزارة الإعلام الفلسطينية، ص17.

[11] **باب التوبة:** جزء من الباب الذهبي الذي يتكون من بوابتين الرحمة والتوبة يقع في الحائط الشرقي على بعد 200متر إلى الجنوب من باب الأسباط يؤدي مباشرة إلى الحرم وسمي بالباب الذهبي لجماله يعود للعصر الأموي. وزارة الأعلام الفلسطينية، ص17.

[12] شراب، ص56.

الجهة الشمالية رواق كبير، وهو مؤلف من سبع قناطر عقدت على ممر ينتهي إلى سبعة أبواب كل باب يؤدي إلى رواق من أروقة المسجد السبعة[1].

وصف كثير من الجغرافيين المسجد الأقصى بدقة، وتناولوا أبوابه وعمارته وزواياه وقبابه وما فيه من زخرفة ونقوش وكتابات، فهو أهم المساجد وأطهر الأماكن في فلسطين، ولذلك نجد أوصافه في كتب الجغرافيين بأنه من "أعظم مساجد الدنيا"[2]. كما أنه من المساجد العجيبة الرائقة الفائقة في الحسن وليس على وجه الأرض مسجد أكبر منه[3]، على غاية الحسن والإحكام[4]، ومنشَرِحٌ فسيح متسع جدا طولا وعرضا[5].

تناولت المصادر الجغرافية أبعاد المسجد الأقصى وقياساته، فقد ذكر ابن الفقيه(ت340هـ/951م) أن طول مسجد بيت المقدس ألف ذراع[6] وعرضه سبعمائة ذراع[7]، وأشار خسرو (ت394هـ/1004م) إلى أن طول المسجد الأقصى أربع وخمسون وسبعمائة ذراع وعرضه خمس وخمسون وأربعمائة ذراع بذراع الملك المستخدم في خراسان[8]، وأورد الهروي(ت480هـ/1088م) أن طول المسجد الأقصى سبعمائة ذراع بذراع الملك[9]، وعرضه أربعمائة وخمس وخمسون ذراعا بذراع الملك، وهذه الصخرة باقية مبنية في حائط شمالي الأقصى"[10].

قدر الإدريسي(ت493هـ/1100م) في (القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي) مساحته بالباع[11] اذ يقول: "وصحن المسجد الأقصى هو في تربيع طوله مئتا باع في عرض مائة وثمانين باعا"[12] معتبرا أن هذه

---

[1] الفراني، دور المماليك في الحفاظ على التراث العمراني للمدينة القدس،https://iugspace.iugaza.edu.ps

[2] البلوى، 246/1

[3] ابن بطوط، ص76.

[4] الحموي، 168/5

[5] العبدري، ص470.

[6] **الذراع:** ما بين طرف المرفق إلى طرف الإصبع الوسطى، وتختلف قياساته من بلد لآخر وهو أنواع مختلفة فمنه الذراع الاستانبولية وهي حوالي67سم، وذراع الملك ويساوي 2.81سم والذراع الهاشمية وتساوي 9.10سم وأنواع أخرى مختلفة. عبد الجواد، ص28.

[7] ابن الفقيه، ص100.

[8] خسرو، ص69.

[9] **ذراع الملك:** إحدى وحدات القياس وتساوي 2.81سم. عبد الجواد، ص31.

[10] الهروي، ص32.

[11] **الباع:** من أساليب القياس قديما، وهي مسافة ما بين الكفين إذا بسطتهما جانبا، وهو مقدار مد اليدين وما بينهما من البدن. عبد الجواد، ص28.

[12] الإدريسي، 360/1.

المساحة للمسجد الأقصى هي الأكبر إذا ما قورنت بغيره من المساجد مستثنيا جامع قرطبة في بلاد الأندلس" فليس في الأرض كلها مسجد على قدره إلا المسجد الجامع الذي بقرطبة[1] من ديار الأندلس"[2].

وفي القرن (السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي) نجد أن القزويني(ت682هـ/1283م) قدر مساحته بسبعمائة ذراع وأربعة وثمانون ذراعا طولا وأربعمائة وخمسة وخمسون ذراعا عرضا[3].

اتفق ابن جبير(ت614هـ/1217م) والبلوي(ت736هـ/1335م) على أن طول مسجد بيت المقدس سبع مائة وثمانون ذراعا وعرضه أربعمائة وخمسون ذراعا[4]. أما ابن بطوطة (ت779هـ/1377م) فيبين أن "طوله من الشرق إلى الغرب سبعمائة واثنتان وخمسون ذراعا بالذراع المالكية، وعرضه من القبلة إلى الداخل أربعمائة ذراع وخمس وثلاثون ذراعا"[5].

وفي القرن (التاسع الهجري/الرابع عشر الميلادي) كان طوله سبعمائة وخمسة وخمسون ذراعا وعرضه أربعمائة ذراع وخمسة وخمسون ذراعا[6].

يدلنا اختلاف مقاسات المسجد الأقصى بين الجغرافيين في العصور المختلفة إلى قضيتين أولهما اختلاف طرق القياس بينهم، فمنهم من يقيس بالذراع ومنهم من يقيس بالباع، كما أن تلك القياسات بدائية في تلك الفترة هذا مع اختلاف أنواع الأذرع المستخدمة، كما يدلنا ذلك على التوسعات التي كانت تتم على المسجد الأقصى وهذا يفسره زيادة القناديل والأعمدة أيضا واختلاف أعدادها من عصر إلى عصر.

---

[1] **قرطبة:** من أجمل مدن الأندلس وممالكها، كانت عاصمة لعبد الرحمن الداخل بن معاوية الذي أسس الدولة الأموية في الأندلس بعد هروبه من العباسيين الذين قضوا على الدولة الأموية، كانت قرطبة مدينة عظيمة يتبعها حوالي ثلاثة آلاف قرية ويسكنها حوالي خمسمائة ألف نسمة وثلاثة عشر ألاف بيت هذا غير القصور والضواحي التي بلغت حوالي الثمانية والعشرين، وكانت في تقسيمها خمس مدن يتلو بعضها بعضا وبين المدينة والمدينة سور عظيم حصين، وكل مدينة مستقلة بذاتها فيها من الحمامات والصناعات والأسواق ما يكفي أهلها. هلال، وصبح، ص29-31.

[2] الإدريسي، 359/1.

[3] القزويني، ص162.

[4] ابن جبير، ص81، البلوي، 46/1

[5] ابن بطوطة، ص76.

[6] الظاهري، ص21.

أما المظهر العام للأقصى فقد كان صحنه مبلطا كله، إضافة إلى ما فيه من أعمدة ورخام وأبواب مرصعة عظيمة[1] وسجاد فاخر مفروش فيه، وخدم يعملون فيه على الدوام[2] إضافة إلى أروقته العظيمة وزخارفه المبهرة وأعمدته الضخمة بتيجانها الجميلة[3]، وقد وصفه القزويني (ت682هـ/1283م) بقوله: "هو في غاية الحسن والأحكام مبني على أعمدة من الرخام الملونة، والفسيفساء الذي ليس في شيء من البلاد أحسن منه"[4].

ويعد المسجد القبلي من بين المعالم والمنشئات العمرانية التي يضمها المسجد الأقصى، ومعظمها من مخلفات العصر الأموي، وقد بنى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (ت86هـ/705م) المغطى من المسجد الأقصى، وقد تعرض لعوامل كثيرة أثرت عليه من أهمها الزلازل التي أدت إلى هدم الجامع القبلي الا ما حول المحراب فيه[5].

يعدّ ابن حوقل(ت367هـ/977م) أول الجغرافيين الذين أشاروا إلى الجزء المغطَّى من المسجد، حين ذكر أنَّ للمسجد الأقصى "بناء فيه قبلته مسقَّف في زاوية من غربي المسجد ويمتد هذا التسقيف على نصف عرض المسجد والباقي من المسجد خال لا بناء فيه إلا موضع الصخرة فان هناك حجرا مرتفعا كالدّكة عظيم كبير غير مستوي[6].

وذكر القزويني(ت682هـ/1283م) أن حجارته ضخمة طول كلِّ حجر عشرة أذرع وفي قبلته حجر أبيض عليه مكتوب: محمد رسول الله خلقه لم يكتبه أحد. وصحن المسجد طويل عريض طوله أكثر من عرضه، وهو في غاية الحسن والأحكام مبني على أعمدة الرخام الملونة، والفسيفساء الذي ليس في البلد أحسن منه"[7].

---

[1] المقدسي، ص169-170.
[2] خسرو، ص72.
[3] خسرو، ص70-71، زايد، ص182.
[4] القزويني، ص161.
[5] المقدسي، ص168.
[6] ابن حوقل، ص158.
[7] القزويني، ص161.

وقد شاهد البلوي(ت736هـ/1335م) بأعلى المحراب في المسجد القبلي عبارة مكتوبة بالذهب في أربعة أسطر ما نصه: "أمر بتجديد هذا المحراب المقدس وعمارة المسجد الأقصى الذي هو على التقوى عبد الله ووليه يوسف بن أيوب المظفر الملك الناصر صلاح الدين والدنيا عندما فتحه الله على يديه في شهور سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وهو يسال الله إيزاعه[1] شكر هذه النعمة وإجزال[2] حظه من المغفرة والرحمة"[3]

وكان يتم الدخول إلى المسجد الأقصى في القرن (الرابع الهجري/العاشر الميلادي) من عشرين بابا[4] زادت إلى خمسين بابا في القرن (الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي)[5]، وظلت كذلك أيضا في (القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي) كما ذكر الظاهري (ت872هـ/1468م) في الزبدة[6]. لكن البلوي (ت736هـ/1335م) يذكر أنه لم يكن مفتوحا منها إلا "اثنا عشر بأًبا كل باب منها له الوجه المنقَّش الحسن المرقش، فيها باب مصفح بالعقيان واللجين مغمد بهما قد قام على ما راق الأبصار وأعجب الأنظار"[7]، وقد أشار ابن جبير (ت614هـ/1217م) إلى أن أعمدته قد بلغت أربعمائة وأربع عشر، وقناديله خمس مائة وأبوابه خمسون بابا[8]، لكن يبدو أنها أصبحت في القرن (التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي) ستمائة عمود والقناديل خمسة آلاف قنديل[9]، وهذا يدل على التوسع المستمر للجامع القبلي من المسجد الأقصى كانت تتطلَّبه كما يبدو الحاجة الملحة بسبب كثرة السكان والزائرين.

---

[1] **الايزاع:** الإلهام، وقد وردت في قوله تعالى في سورة النمل الآية(19) "قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي..." أي ألهمني شكر نعمتك. البصري، 537/2.

[2] **الإجزال:** التكثير. ابن السكّيت، ص381.

[3] البلوي، 1/ 47.

[4] المقدسي، ص170، الإدريسي، 361/1، القزويني، ص161.

[5] البلوي،47/1.

[6] الظاهري، ص20.

[7] البلوي،47/1.

[8] ابن جبير، ص81.

[9] الظاهري، ص20.

وقد فتحت للمسجد أبواب في الجهات المنخفضة من أحياء المدينة وهذه الأبواب صغيره تؤدي لساحاته، ومن هذه الأبواب ما يسمى باب النبي –صلى الله عليه وسلم– وهو في الجنوب بجانب القبلة، وباب آخر يسمى باب السكينة[1].

وواضح جدا الفرق بين الوصف الذي جاء به المقدسي لعدد أبواب الأقصى والعدد الذي جاء به خسرو، فعلى زمن المقدسي(ت381هـ/991م) كانت خمسة عشرة إلى الشمال وأحد عشرة إلى الشرق، في حين أن خسرو(ت394هـ/1004م) وصف سبعة إلى الشمال وعشرة مفتوحة شرقا وهذا الاختلاف عائد إلى الزلازل التي حدثت بين زيارة كل منهما للمدينة[2].

محاريب الأقصى وقبابه ومقاماته

تحتوي ساحات المسجد الأقصى على عدد من المظاهر العمرانية مثل المحاريب[3] والقباب والمقامات والبوائك، التي تشكِّل مكوِّنا حضاريًّا من مكوِّناته ضمن لوحتها المعمارية الخالدة والتي تراكمت عبر الأزمنة والحقب المتعاقبة على المدينة، وخاصة الإسلامية منها.

تُعدُّ القباب والمحاريب من أبرز المعالم في ساحات الأقصى، والتي شكلت كنزا حضاريا إسلاميا شمل معظم فترات التاريخ الإسلامي، وقد تناولتها المصادر التاريخية إما ذكرا وإما تفصيلا حسب أهمية المَعلَمِ وحجمه وصلته بأحداث التاريخ الإسلامي على مر العصور.

---

[1] خسرو، ص76.

[2] وشاح، والفراني، ص19، زياد، ص185.

[3] **المحاريب:** مفردها محراب، هو عنصر معماري ابتكره المسلمون لضرورات منها تحديد اتجاه القبلة في المساجد، ووقوف الإمام فيه أثناء الصلاة لكي يوفر صفا كاملا للمسلمين في داخل المصلى، وللمحراب فائدة ثالثه في تضخيم صوت الإمام أثناء تأديته الصالة فيسمعه جميع المصليين، كما أن له أهمية في تمييز الإمام عن بقية المسلمين، وان كتب المؤرخين والرحالة العرب تشير إلى أن من اقدم المحاريب هو محراب المسجد الأقصى، ومسجد الكوفة، وجامع الرسول صلى الله عليه وسلم وجامع دمشق، وجامع القيروان، وجامع عمرو بالفسطاط. النقيب، ص267.

- **قبة الصخرة:** من أبرز مظاهر التراث المعماري العربي الإسلامي في مدينة القدس، نظرا لجمالها وعظمة بنائها والجهد العظيم الذي بذل فيها من حيث الإنشاء والزخرفة والفخامة والجلال، مما جعلها صرحا شامخا من صروح الفن المعماري الإسلامي.

وتكتسب قبة الصخرة أهميتها عند المسلمين من المكان الذي بنيت فوقه، وهو الصخرة التي عرج منها الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم– والمرتبطة بحادثة المعراج وبتاريخهم الإسلامي.

بدأ العمل في بناء قبة الصخرة بأمر الخليفة عبد الملك بن مروان عام (66هـ/685م)[1] وانتهى بناؤها عام (73هـ/691م)[2].

واختلف في سبب بناء عبد الملك لقبة الصخرة، فمن قائل أن عبد الملك بناها في ظل الصراع الذي كان قائما بينه وبن عبد الله بن الزبير (ت73هـ/692م) الذي كان يسيطر على الحجاز وعلى مكة والمدينة، وهذا ما دفعه إلى "منع الناس عن الحج لئلا يميلوا مع عبد الله بن الزبير فضجُّوا، فقصد أن يشغل الناس بعمارة هذا المسجد عن الحج فكان عبد الله بن الزبير يشنع عليه ذلك"[3]. وهذا مستبعد إذ لا يمكن لخليفة للمسلمين في وقت صراع على الشرعية أن يفعل ذلك، لأن ذلك سيؤلب النَّاس عليه إضافة إلى انَّه يعد مخالفة لمبادئ الإسلام وبالتالي سيفقد الشرعية الدينية لو فعل ذلك.

وقد ذكر خسرو (ت394هـ/1004م) أنه كان يذهب إلى القدس في موسم الحج من لا يستطيع الذهاب إلى مكة من أهل الشام، فيتوجه إليها ويضحي أضحية العيد كما هي العادة، ويحضر هناك لتأدية السُّنة في بعض السنين أكثر من عشرين ألف شخص في أوائل ذي الحجة ومعهم أبناؤهم[4]. وهذا أقرب منه إلى العادة من كونه بديلا عن الحج إلى بيت الله الحرام، فأركان الإسلام واضحة شاملة والحج لا يكون إلا إلى بيت الله

---

[1] الحنبلي، 272/1.

[2] المصدر نفسه، 275/1.

[3] الحنبلي، 272/1.

[4] خسرو، ص67.

الحرام في مكة المكرمة، لكن بعض العادات دخلت إلى سلوكيات الناس ومنها زيارة الأقصى لما يظنُّونه تقديسا للحجة كون المسجد الأقصى أولى القبلتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين الشريفين، ومكانته في الإسلام عظيمة مقدسة مثل الأماكن المقدسة في المشاعر المقدسة في مكة والمدينة.

وربما أراد عبد الملك ببناء قبة الصخرة أن يشغل الناس عن الانبهار بكنيسة القيامة وغيرها من المواقع المسيحية في فلسطين والتي كان لها من الزخرفة وعظمة البناء ما يصرف النظر إليها ويخطف الألباب فأراد أن يجعل للمسلمين ما هو أعظم من ذلك فبنى قبة الصخرة[1]، وهذا أقرب إلى الصَّواب من الحديث عن صرف الناس عن زيارة البيت الحرام كون عبد الملك بن مروان خليفة مسلم يعتمد في صراعه على اكتساب الشرعية قدر الإمكان ولا يمكن له أن يفعل ما يفقده هذه الشرعية.

ويؤيد ذلك ما أورده الحنبلي من أن عبد الملك بن مروان حين حضر إلى بيت المقدس وأمر ببناء القبة على الصخرة الشريفة بعث الكتب إلى سائر الولايات يخبر الناس إن عبد الملك قد أراد أن يبني قبة على صخرة بيت المقدس، وعلل ذلك بأنَّها من أجل أن تقي المسلمين من الحر والبرد، وطلب من الرعية أن تكتب إليه برأيها وما هم عليه، فوردت الكتب عليه من جميع عمال الولايات بموافقته الرأي على ذلك[2].

إنَّ قيام عبد الملك باستشارة الرعية في سائر الولايات عند بناء بيت المقدس دليل على بعد نظر، لأنَّه مدرك لما كان يقال من إشاعات يمكن لها أن تخلخل حكمه وملكه وتقدح في شرعيته أمام خصومه وخاصة عبد الله بن الزبير خليفة الحجاز آنذاك، كما أنَّه دليل على ضعف رواية بنائه لقبة الصخرة من أجل صرف النَّاس عن الحج إلى بيت الله الحرام والذي كان في تلك الفترة تحت حكم عبد الله بن الزبير.

[1] المقدسي، ص159.

[2] الحنبلي، 272/1.

وقد بنى عبد الملك قبة الصخرة على هذه الصخرة على بيت مثمن بأربعة أبواب هي الباب القبلي وباب إسرافيل وباب الصور وباب النساء[1]، وقد كان اهتمام العباسيين بالقدس كسابقيهم من حيث الصيانة والتجديد والتذهيب، "ففي عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله(ت320هـ/932م)[2] تم عمل أربعة أبواب خشبية مذهَّبة في مسجد قبة الصخرة"[3].

وقد رافق بناء القبة حالات صيانة وترميم عديدة على مدار فترات التاريخ الإسلامي بسبب ما تعرض له البناء من عوارض طبيعية، وبعض الحوادث البشرية، وقد كانت هذه الأعمال طفيفة ما جعل المبنى يتميز بأصالته وقدمه، وتعتبر الأبواب في المباني أكثر ما تعرض للتلف والتجديد، وقد جددت الأبواب في العهد المملوكي، كذلك أصاب التجديد طاسة القبَّة، حيث ذكرت المصادر خبر سقوطها سنة (407هـ/1016م) مما دفع الظاهر الفاطمي(ت427هـ/1036م) إلى تجديدها[4].

تناول الجغرافيون العرب والمسلمون قبة الصخرة بكثير من الوصف الدال على انبهارهم بها وإعجابهم العظيم بعظمتها وزخرفتها وما تحويه من أعمدة ومرصعات وزخارف وفسيفساء. فهي "مرصعة بالفص المذهب والأعمال الحسنة من بناء خلفاء المسلمين"[5].

وصف ابن حوقل(ت367هـ/977م) قبة الصخرة قائلا: "على الصخرة قّبة عالية مستديرة الرأس قد غّشيت بالرصاص الغليظ السميك وارتفاعها وعرضها متقاربان، وهي محاطة بحائط ارتفاعه نصف قامة، ومساحة

---

[1] المقدسي، ص169.

[2] **المقتدر بالله:** وهو أبو الفضل جعفر بن المعتضد أحمد بن طلحة بن المتوكّل جعفر العبّاسي الخليفة، امّه جارية تسمّى شغب بويع له بالخلافة يوم مات أخوه المكتفي بالله يوم السبت (295/11/13هـ/ 908/8/18م) خلع من الحكم مرّتين وأعيد، وكان كثير التجمّل في الآلات والمساكن واتّخاذ الزّينة، وقد خربت الدّنيا في أيّامه، وخرجت فارس من يده وكرمان وخراسان وأذربيجان ومصر، وكانت والدته ووصيفاتها يدبّرون الأمر في عهده، وكانت خلافته إلى أن قتل أربعا وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وخمسة عشر يوما، وقتل يوم الأربعاء (320/10/27هـ/ 932/11/4م). ابن الفوطي، ص452.

[3] المقدسي، ص169، الإدريسي، 360/1، الحموي، 170/5.

[4] عيسى، ص38.

[5] الإدريسي، 360/1.

الحجر بضع عشرة ذراعا في مثلها، وينزل إلى باطن هذه الصخرة من باب يشبه السرداب إلى بيت يكون طوله نحو خمس أذرع في عشر لا بالمرتفع ولا بالمستدير ولا بالمرّبع وسمكه فوق القامة"[1].

ويروي الهروي أنه شاهد قبة الصخرة خلال زيارته لها سنة(569هـ/1173م) إبان السيطرة الفرنجية ووصفها بقوله: "وهذه الصخرة رأيتها في زمان الفرنج ودائرها درابزين من الحديد كالبيت وهي من الجانب القبلي وتحتها دكَّة وهي عليه مبنية والصخرة علوها مقدار ذراعين ودائرها يزيد على أربعة اذرع، وتحت قبة الصخرة مغارة الأرواح ذكروا أن أرواح المؤمنين يجمعها الله بها، وينزل إلى هذه المغارة في أربع عشرة درجة"[2].

ومعروف أن الفرنجة عندما سيطروا على بيت المقدس عاثوا فيه فسادا ونهبوا محتوياته كلها، فقد أخذوا من عند الصخرة وحدها ألفين وأربعين قنديلا من فضة زنة كل منها ثلاثة آلاف وستمائة رطل، وتنورا من فضة وزنه أربعون رطلا[3] وثلاثة وعشرين قنديلا من الذهب[4].

كما قاموا بإنشاء مذبح فوق الصخرة تقدم فوقها القرابين وجعلوا مغارة الأرواح الواقعة داخل الصخرة مكانا تصفى فيه الدماء الناتجة عن الذبائح، كما قاموا برفع الصليب فوق القبة، وكانوا يقطعون من الصخرة قطعا من القبة ويبيعونها بوزنها ذهبا[5].

وهذا يدل دلالة واضحة على الانحطاط الأخلاقي والحضاري والفكري عند الصليبيين الذين لم يراعوا حرمة لهذا المكان المقدس إضافة إلى فسادهم وهمجيتهم التين اتصفوا بهما، إضافة إلى الحقد على الإسلام وكل

---

[1] ابن حوقل، 171/1.

[2] الهروي، ص1.

[3] **الرطل:** وحدة للوزن كان العرب والمسلمون ولا زالوا يتعاملون بها وهي أنواع منها الرطل النبوي وهي الأوزان التي يكان يتعامل بها أهل مكة قبل الإسلام وفي العصر النبوي ويساوي 12 أوقية، وهناك الرطل العرفي الذي لم يرد فيه حكم شرعي وتعارف عليه الناس في معاملاتهم واحتياجاتهم من بيع وشراء وقدرته الدولة العثمانية ب(3.2073625) غرام. عبد الجواد، ص13.

[4] الحنبلي، 1/ 308.

[5] المصدر نفسه، 239/1.

ما يتعلق به من مقدسات ورموز وإبداعات حضارية، فقبة الصخرة كانت معلما دينيا إسلاميا غاية في الإبداع والإتقان والفن وكان الأولى بهم أن يحافظوا عليها كتراث حضاري إنساني بدلا منى تلويثها والعبث بها.

لقد تحدث الجغرافيون عن جمالها وظهر انبهارهم بها وافتتانهم بما تحويه من بديع الصنعة وفخامة الإنشاء، يقول القزويني(682هـ/1283م) في وصفه لها أنَّها "قبة عظيمة مثمنة على أعمدة رخام مُسَقَّفَة برصاص، منمقة من الداخل والخارج بالفسيفساء، مطبَّقة بالرخام الملون، وفي وسطها الصخرة التي تزار، وعلى طرفها اثر قدم النبي عليه السلام[1]، وتحتها مغارة ينزل إليها بعدة درج يصلى فيها، ولهذه القبة أربعة أبواب"[2].

وصفها العبدري(700هـ/1300م) بأعجب المباني الموضوعة في الأرض وأتقنها وأغربها، وقد نالت من كل حسن بديع أوفر حصة وتجلت في جمالها الرائع عروس حسناء جليت على منصة، قامت مشرقة متبرجة على يفاع تُصرِّحُ وتُلَوِّحُ بالإعراب والإبداع وتفصح عن فضيلة الصنَّاع حسنها الأول فاستحسنها الآخر وانعقد الإجماع تنازع الكمال منها الظاهر والباطن...الخ"[3] ثم يتابع قائلا: "وصفتها أنها قبة مثمنة على نشز[4] في وسط المسجد ويطلع إليها في درج من رخام قد أحاط بها. ولها أربعة أبواب، والدائر مفروش بالرخام المحكم الصنعة وداخلها كذلك، وفي ظاهرها وباطنها من أنواع التزويق ما يقصر عن الوصف"[5]

ويرى ابن بطوطة(779هـ/1377م) أنها: "من أعجب المباني وأتقنها وأغربها شكلا، قد توفر حظها من المحاسن وأخذت من كل بديعة بطرف، وهي قائمة على نشزٍ في وسط المسجد، يصعد إليها في درج رخام، ولها أربعة أبواب، والدائر بها مفروش بالرخام أيضا محكم الصنعة، وكذلك داخلها وفي ظاهرها وباطنها من أنواع الزَّواقة ورائقة الصنعة ما يعجز الواصف، وأكثرها مغشي بالذهب فهي تتلألأ أنوارا، أو تلمع لمعان البرق، يحار بصر متأملها في محاسنها، ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها، وفي وسط قبة الصخرة الكريمة

---

[1] القزويني، ص161، الحموي،168/5.

[2] القزويني، ص161.

[3] العبدري، ص470.

[4] **نشز**: نقول نشز الشيء أي ارتفع والمقصود هنا على مرتفع. الفراهيدي، 232/6.

[5] العبدري، ص470.

التي جاء ذكرها في الآثار فان النبي عرج منها إلى السماء وهي صخرة صماء ارتفاعها نحو قامة وتحتها مغارة مقدار بيت صغير"[1].

نقلت لنا المصادر الجغرافية التفاصيل الداخلية لقبة الصخرة، فرواقها مبني على ست عشرة اسطوانة رخامية وثمانية أركان، والقبة التي في داخله بنيت على أربعة أركان واثني عشر عامودا، ومحيطها ست عشرة شباكا، ومحيط القبة مائة وستون ذراعا، ومحيط البناية الكبرى التي تحوي الجميع ثلاثمائة وأربعة وثمانون ذراعا، ومحيط الجميع مع قبة السلسلة مع ما يلائمه من العمارة أربعمائة واثنتان وثمانون ذراعا، أما الدرابزين الذي يحيط بالصخرة فعلوُّه قامتان[2] وهو مصنوع من الحديد [3].

لمسجد قبة الصخرة أربعة مداخل في الجهات الأربعة، تُفضي إلى فناء الصخرة المربع الشكل والذي يتم الصعود إليه بواسطة ثمانية مراقي تعلوها البوائك[4] وتنتشر في جميع الاتجاهات[5]، باب منها إلى باب الرحمة وباب منها إلى باب جبرئيل وباب إلى القبلة وباب إلى قبة السلسلة[6]، وقد تم تجديد معظم هذه الأبواب في عهد السلطانين سليمان القانوني وعبد الحميد الأول العثمانيين[7].

وبشكل مختلف عن المساجد الأخرى لا نستطيع التمييز بين مدخل رئيسي وآخر ثانوي في مسجد قبة الصخرة، ومن الناحية المعمارية على الأقل، فلا وجود لما يمكن أن يميز المدخل المقابل لمحراب المسجد عن غيره من المداخل، نظراً لأن البناء مثمن الشكل، إضافة إلى أن قبة الصخرة تقع في وسط المسجد الأقصى مما يعني أن الوصول إليها لا يتم من جهة واحدة بل من جميع الاتجاهات، كما أن المسجد يضم

---

[1] ابن بطوطة، ص76.

[2] **قامتان:** مفردها قامة وهي وحدة للطول يراد بها طول الإنسان وتساوي مترا و9731سم. عبد الجواد، ص35.

[3] الهروي، ص32.

[4] **البوائك:** عبارة عن أعمدة تربطها عقود، وتقع أعلى الدرجات الحجرية التي تقود إلى صحن الصخرة المشرفة في قلب المسجد الأقصى المبارك. أنشئت هذه البوائك، لأغراض جمالية، فوق الدرجات التي تقود إلى صحن الصخرة والتي تسهل أيضا انتقال المصلين بين مختلف جهات المسجد الأقصى دون الحاجة إلى الالتفاف حول الصحن. بنيت في عدة عهود إسلامية أبرزها العهد المملوكي، أبو دية، ص5

[5] أبو دية، ص5.

[6] الهروي، ص32.

[7] أبو دية، ص5.

أربعة أبواب في الجهات الأربعة. مما لا يجعل خصوصية للجهة المقابلة للقبلة[1].وهذه ميّزة معمارية يتفرد بها مسجد قبة الصخر عن غيره من المساجد التقليدية في تصميمها ومحرابها ومواضع أبوابها.

أما شبابيك قبة الصخرة فهي (65) شباكاً تتوزع على رقبة القبة وجدران مسجدها الخارجية[2]، كما أن فناء الصخرة فيه عدد من القباب والخلوات والمعالم الدينية والتاريخية والثقافية، إضافة إلى آبار الشرب[3]

وقد نظر بنو العباس[4]إلى قبة الصخرة على أنها سبق أموي لهم[5] فاهتموا بها اهتماما كبيرا وقاموا بصيانتها والمحافظة عليها، وترميمها عند الحاجة، وتبدو تلك الترميمات من خلال الصفائح النحاسية التي وضعت بعتبة الباب العلوية فكان في "غاية الزينة وهو من الحسن بحيث تظن أنه من ذهب وقد نقش بالفضة وكتب اسم الخليفة المأمون، ويقال أنه هو الذي أرسله من بغداد"[6].

وهذا يدل دلالة واضحة على التنافس حتى بين الخصوم على عمارة المسجد الأقصى وملحقاته باعتباره من مقدسات الإسلام العظيمة التي تُكسِبُ القائم عليها شرعية دينية وسياسية تجعله الأقوى والأكثر حظا في صراعه السياسي وسباقه الحضاري مع من يراهم أعداء له ومنافسين، وهذا الذي دفع العباسيين الذين انتقموا من الأمويين شر انتقام إلى زيادة الاهتمام بالمسجد الأقصى وقبة الصخرة لما لهذا الاهتمام من مكاسب سياسية ودينية إضافة إلى كونها معلما إسلاميا في نطاق ولايتهم.

---

[1] أبو دية، ص5.

[2] المرجع السابق، ص2.

[3] المرجع نفسه، ص2.

[4] **بنو العباس:** ينسبون إلى العباس ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، إن من سادات قريش وعقلائهم ولما جاء الإسلام كان من المخلصين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان لم يظهر متابعته وهو الذي تولى أحكام الأمر مع الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة. واليهم تنسب الدولة العباسية التي أقاموها على أنقاض الدولة الأموية. الخضري، ص7-8.

[5] الحنبلي، 283/1.

[6] خسرو، ص74.

- **محرابا مريم وزكريا**[1]: يقع محراب مريم في الجانب الشرقي للمسجد الأقصى، وهذا المحراب هو موضع متعبد مريم ويعرف أيضا بمهد عيسى[2]، أما محراب زكريا فيقع في الركن الشمالي للمسجد الأقصى[3]، وهو عبارة عن قبة وهي قبة جميلة لطيفة –كما تذكر المصادر– مكتوب عليها "هذا محراب زكريا النبي عليه السلام"[4] ويقال انه كان يصلي هناك دائما[5]. وهذان المحرابان يرتبطان مع بعضهما بقصة زكريا ومريم والتي وردت في القران الكريم في قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٧﴾[آل عمران:37]. وعلى هذيْن المحرابيْن آيات القرآن التي نزلت في حق زكريا ومريم[6].
- **محراب يعقوب**[7]، ويسمى بـ"قبة يعقوب" ويقع في الجانب الشمالي من المسجد الأقصى[8] وقد رفعت هذه القبة على دعائم عالية، وزيّنت بالقناديل والمسارج، وقد سميت بـ"قبة يعقوب" عليه السلام لأنه كان يصلّي هناك[9].

---

[1] البكري، 469/1، ابن الفقيه، ص100، القزويني، ص162، المقدسي، ص169–170، الهروي، ص32.

[2] المنهاجي، 18/2.

[3] خسرو، ص72.

[4] المصدر نفسه، ص59.

[5] خسرو، ص59.

[6] خسرو، ص72، المقدسي، ص170.

[7] ابن الفقيه، ص100، المقدسي، ص169–170، الهروي، ص32.

[8] خسرو، ص58.

[9] المصدر نفسه، ص71

- **محراب الخضر**[1]: يقع وسط المسجد الأقصى[2] ويقال له قبة الخضر، ومصلى الخضر، وقد أنشئ في القرن (العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي) فوق مكان يقال إن الخضر عليه السلام كان يؤمُّهُ ويصلي فيه[3]، وتحتها قبو يعرف بمقام الخضر لنفس السبب والأمران لا دليل عليهما[4].
- **محراب عمر بن الخطاب** –رضي الله عنه– والذي لم تغيره الفرنج عند احتلالهم لبيت المقدس كما يذكر الهروي[5]، وقبة هذا المحراب مذهبة، وعلوها ستون ذراعاً[6] وقيل أنَّه لما جاء عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– اقتفى أثر داوود النبي عليه السلام وصلى مكان متعبَّده فسمي محراب عمر، لكونه أول من صلى فيه يوم الفتح وهو في الأصل محراب داود عليه السلام[7]، ويقال أن عمر بن الخطاب طلب من صفرونيوس أن يدله على مسجد داوود، فانطلق به حتى انتهى إلى مكان بابه وقد انحدر الزبل على درج الباب فتجشم[8] عمر حتى دخل ونظر فقال: الله أكبر، هذا والذي نفسي بيده مسجد داوود الذي أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أسري به إليه، ثم أخذ عمر والمسلمون يكنسون الزبل عن الصخرة حتى ظهرت كلها، ومضى عمر إلى جهة محراب داوود فصلى فيه[9]، ومن هنا سمي بمحراب عمر أو مسجد عمر بن الخطاب لأنه اقتفى أثر نبي الله داوود وصلى مكان محرابه.
- **قبة السلسلة**[10] تقع شرقي قبة الصخرة على عشرين عمودا رخاما ملبسة بصفائح الرصاص[11]وصفها البلوي بأنها:" تغشى النواظر بشعاعها وتخطف الأبصار بلمعانها، وهي القبة التي كان يجلس بها داوود عليه السلام للحكم، وهي قبة عجيبة قامت على أسوار مختلفة وصناعة على الحسن مشتملة بوسطها

---

[1] ابن الفقيه، ص100، المقدسي، ص169–170، الهروي، ص32.

[2] ابن الفقيه، البلدان، 151.

[3] ابن الفقيه، ص100، ابن جبير، ص223، ابن بطوطة،329/1، الحميري، ص239.

[4] مؤسسة القدس الدولية، ص16.

[5] الهروي، ص32.

[6] ابن شداد، ص111.

[7] المنهاجي، 195/1.

[8] تجشَّم: أي تكلَّف وتحمَّل المشقَّة. ابن منظور، لسان العرب، 100/12.

[9] ابن عاشور، 18/15.

[10] انظر الحموي، 168/5.

[11] ابن الفقيه، البلدان، ص100.

تأريخان مكتوبان بالذهب احدهما في أرض خضراء زراعية ونصه: **بسم الله الرحمن الرحيم وداوود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما، كمل تجديد بطن هذه القبة السلسة المباركة ونقش سقفها وتبليطها في شهور سنة ست وتسعين وخمسمائة**"[1].

- **مقام النبي**[2]، وتسمى بقبة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهي مقامة على أربعة أعمدة من الرخام ويقال إن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– صلى ليلة المعراج في قبة الصخرة، وقد ذهب رسول الله – صلى الله عليه وسلم– من هناك إلى القبة التي تنتسب إليه وركب البراق وهذا سبب تعظيمها[3].
- **مربط البراق:** الذي ركبه النبي –صلى الله عليه وسلم– تحت ركن المسجد[4].
- **مصعد عيسى:** ويقع على تل مرتفع شرق القدس بعدوة الوادي المعروف بوادي جهنم، ويقال أنها مصعد عيسى عليه السلام إلى السماء[5].
- **قبر رابعة البدوية:** وهي منسوبة إلى البادية وهي خلاف رابعة العدوية المشهورة[6]، بل هي زوجة أحمد بن أبي الحواري[7] لأن قبر رابعة العدوية موجود بالبصرة[8]
- **قبر مريم:** يقع في وادي جهنم، وعليه كنيسة يعظمها النصارى ويقولون إن قبر مريم عليها السلام بها[9]، وينزل إلى القبر في ست وثلاثين درجة، وبه أعمدة صلبة رخامية تحت قبته وعددها ستة عشر عامودا من الرخام، ثمانية حمر وثمانية خضر، وله أربعة أبواب، على كل باب ستة عمد من الرخام الصلب[10]

---

[1] البلوي، ص49.

[2] ابن الفقيه، ص100، المقدسي،169–170، الهروي، ص32، القزويني، ص161.

[3] خسرو، ص71.

[4] القزويني، ص162.

[5] ابن بطوطة، 77/1، العبدري، ص469.

[6] ابن بطوطة، 1/ 77.

[7] **أحمد بن أبي الحواري:** اسمه ميمون، من أهل دمشق، وكنيته أبو الحسن(ت230هـ/845م) وكان هو وأخوه، وأبوه، وابنه كلهم من الورعين العارفين، وبيتهم بيت العلم والورع والزهد، وكانوا يطلقون عليه ريحانة دمشق. ابن العديم، 957/2.

[8] الهروي، ص34.

[9] ابن بطوطة، 77/1، العبدري، ص469.

[10] الهروي، ص34.

- **موضع مهد عيسى:** وهو عبارة عن مسجد تحت الأرض بآخر المسجد الأقصى من جهة الشرق ويقال أنه محراب مريم عليها السلام وهو موضع متعبَّدها، وهذا الموضع يُتَبَرَّك به[1]، وهي من البدع والضلالات المنتشرة.

ويمكن من خلال استطلاع المصادر التاريخية القول أن مدينة القدس من الناحية المعمارية كانت تحتوي على كل عناصر المدينة في ذلك الزمان وقد شكل المسجد الأقصى وقبة الصخرة أبرز معالمها المعمارية إضافة إلى كنيسة القيامة وغيرها من المشاهد والمباني المختلفة التي تدل دلالة واضحة على المعالم الحضارية لهذه المدينة.

كما تدلنا المصادر الجغرافية على أن هذه المدينة شهدت تطورا واضحا خلال الحقب التاريخية المختلفة مع بعض التراجع الحضاري وخاصة فترة الاحتلال الصليبي لهذه المدينة والتي غلب عليها الهدم والخراب[2] في تلك الحقبة بسبب سياسة الإرهاب الصليبي ضد السكان والمكان.

- **الحرم الإبراهيمي:** يُعَدُّ الحرم الإبراهيمي في الخليل من أبرز المساجد الإسلامية، ففيه قبر الخليل ابراهيم وزوجته واسحق ويعقوب وأزواجهما إضافة إلى جثمان يوسف عليه السلام، كما أنه مسجد منذ أقدم العصور، وبالتالي كانت العناية به من قبل الولاة والسلاطين على قدم وساق في سائر العصور، ولهذا نجد أن أغلب الرحالة والجغرافيين قد زاروه ودونوا مشاهداتهم ووصفوا ما حوله.

حددت المصادر الجغرافية التاريخية موقع الحرم الإبراهيمي على حافة قرية الخليل –آنذاك– من ناحية الجنوب[3]، أما تكوينه فهو أربعة حوائط حجرية مصقولة طول الحائط ثمانون ذراعا وعرضه أربعون وارتفاعه عشرون وثخانة حوائطه ذراعان[4].

---

[1] ابن بطوطة، تحفة النظار، ج1، ص77

[2] العمري،3/ 275.

[3] خسرو، ص85.

[4] المصدر نفسه، ص85.

إنَّ من ينظر إلى الحرم الإبراهيمي من الخارج يلحظ تنوع مكوناته سواء من حيث حجم الأحجار المستخدمة في البناء أو من حيث الطراز[1]. ولا يخفى على الناظر إليه انه سور ضخم البناء متقن الصنعة يقوم بحجار عظيمة يصل طول البعض منها إلى ما يزيد على سبعة أمتار بارتفاع يزيد على المتر، وهي من الصخر الصلب والذي قطع وصقل بدقة متناهية ثم رصَّت في البناء بعناية ومهارة فائقتين من غير ملاط بين أجزائه عن طريق ضغط الهواء وتفريغه على طريقة بناء الحجرات الملكية في الأهرامات المصرية مما يدعو إلى الإعجاب بهندسة البناء المحكمة، ويصل ارتفاع البناء في بعض المواضع إلى ما يزيد على خمسة عشر مترا[2].

تتكون مرافقه الداخلية من مقصورة ومحراب في عرض البناء، وفي المقصورة محاريب جميلة[3]، اما جدرانه فمزينة بالسجاجيد القيَّمة المعلقة عليها والحصر المغربية التي تفوق الديباج حسنا وفيه حصير صلاة اشتريت من مصر بثلاثين دينارا من الذهب المغربي لم يُرَ مثلها في مكان قط"[4]

والحرم الإبراهيمي في فخامته يشبه الحصن المنيع، وهو مبني من حجارة عظيمة منقوشة وسطه قبة من الحجارة إسلامية ويزعمون انه من بناء الجن"[5].

وفي سنة(425هـ/1034م) حدث زلزال في فلسطين تأثرت منه كثير من المدن والقرى وعلى رأسها الرملة وبيت المقدس والخليل ونابلس فأحدث دمارا كبيرا، وقد سقط جزء من الحرم الإبراهيمي إلا أن الحجرة التي تحوي القبور سلمت من هذا الزلزال[6]، ويبدو أنه تم ترميم ما تهدَّم فيما بعد فقد كان اهتمام حكام المسلمين بالأماكن المقدسة في فلسطين كبيرا يرعونها بكل اهتمام على مدار العصور والأزمنة، ولهذا استمرت المصادر التاريخية والجغرافية في الحديث عن جماله وأناقته والإبداع في صنعته في العصور اللاحقة.

---

[1] عمرو، ص39.

[2] المرجع نفسه، ص39.

[3] خسرو، ص85.

[4] المصدر نفسه، ص85.

[5] المقدسي، ص172.

[6] الجوزي، 240/15، ابن كثير، 36/12، الحنبلي، 304/1.

ووصف العبدري(700هـ/1300م) مبناه بأنه قديم أنيق وثيق، هذا بالإضافة إلى الحديث عن علوِهِ وإحكام العمل فيه، وأن صخوره منحوتة، وأن بعض هذه الصخور والواقعة في الركن الذي على يسار القبلة يصل ارتفاعها من الأرض إلى القامة، وأن حجمها يساوي سبعة وثلاثون شبرا، يتعجب الناس منها ومن وضعها هنالك، وقد ذكر العبدري ما يقوله الناس من روايات حول بناء الحرم أن بناءه كلَّه من صنعة الجن أمرهم سليمان عيه السلام بتجديدها على الغار لما دثر ما كان عليه بتقادم الأزمان[1]. وهذا لا يمكن القطع فيه والحكم بصحته، لكن ضخامة حجارته وعظم بنائه في ظل غياب الأدوات المساعدة لذلك في تلك الأزمنة يدفع الناس لتداول مثل هذه الروايات.

ويصفه العمري(749هـ/1349م) بأنَه بمحكم البناء، ووصف حجارتها بالهائلة وأن حجمها يساوي القِدر كما ذكر أن بعض أطوال هذه الحجارة يساوي سبعا وثلاثين شبرا [2]. أما ابن بطوطة(779هـ/1377م) فقد وصف المسجد الإبراهيمي بـ"أنيق الصَّنعة محكم العمل بديع الحسن سامي الارتفاع مبني بالصخر المنحوت، في أحد أركانه صخرة أحد أقطارها سبعة وثلاثون شبرا"[3].

وهذا الحرم مدعَّمة جدره بالرخام الملون والمذهب وعليه أوقاف جليلة، وكان يمدُّ فيه كلّ يوم بعد العصر سماط[4] ويفرق فيه من الخبز على الواردين بحسبهم على قدر كفايتهم[5].

كان الهدف الرئيس من بناء سور الحرم الإبراهيمي قبل تحوله إلى الشكل الذي هو عليه الآن لحماية وإشهاره مقبرة مقدسة، ويدل على ذلك عدم إنشاء الأبواب والنوافذ في جسمه، وتذكر المصادر أن أول من اتخذه مكانا للعباد هم الرومان بعد اعتناقهم للمسيحية فقاموا بسقفه كله او بعضه وفتحوا في جداره بابا، وعلى فترات متعاقبة كان أباطرة الرومان البيزنطيين يتخذون من المكان حصنا في حال الحرب وكنيسة للعبادة في حال

---

[1] العبدري، ص156، عمرو، ص40-41.

[2] العمري، 232/1.

[3] ابن بطوطة، 73/1.

[4] **السماط**: جمعه أسْمِطة وسُمُط: ما يُمدّ من الموائد ليوضع عليه الطَّعامُ في المآدِب ونحوها. عمر أحمد مختار وآخرون، 1107/2.

[5] العمري، 234/1.

السلم، وبقيت كذلك إلى أن أغار الفرس على بلاد الشام ومصر وخربوا الكثير من المدن الحصون التي أقامها الرومان بما في ذلك مدينة الخليل، فدمروا السقف الروماني وما كان قائما من السور من الأبراج، وكان ذلك في حوالي614م[1].

المشاهد والقبور في الحرم الإبراهيمي

تعود معظم المشاهد والقبور في مدينة الخليل للأنبياء، وقد ذكرت المصادر الجغرافية أن المشاهد في مدينة الخليل كثيرة، فعند حديثه عنها يقول المقدسي(336هـ/947م) "ولا أكثر من مشاهدها"[2]، وهذا يدل دلالة واضحة على المشاهد الكثيرة التي شاهدها أثناء زيارته لها.

ويفصِّل خسرو(ت481هـ/1088م) المشاهد الموجودة في مدينة الخليل وخاصّة في الحرم الإبراهيمي بقوله: "حين يخرج السائر من المقصورة إلى وسط ساحة المشهد يجد مشهدين أمام القبلة الأيمن به:

- **قبر إبراهيم** الخليل صلوات الله عليه: مشهد كبير وفي داخله مشهد آخر لا يستطاع الطواف حوله ولكن له أربع نوافذ يرى منها فيراه الزائرون وهم يطوفون حول المشهد الكبير وقد كسيت أرضه وجدرانه ببسط من الديباج والقبر من الحجر ارتفاعه ثلاث أذرع وعلق به كثير من القناديل[3] والمصابيح الفضية"[4]
- **قبر سارة:** يقع على يسار القبلة به قبر سارة زوج إبراهيم عليه السلام، وبين القبرين ممر عليه بابهما وهو كالدهليز[5] وبه قناديل ومسارج[6] كثيرة للإضاءة[7].

---

[1] عمرو، ص43.

[2] المقدسي، ص166.

[3] **القناديل:** نوع من الشمعدانات الكبيرة ذات ستة شمعات. دُوزِي، 332/3.

[4] خسرو، ص85.

[5] **الدهليز**، وهو الممر ما بين الباب والدار. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص511.

[6] **المسارج:** جمع مسرجة أو مسرجة بالفتح ما فيه الفتيلة والدهن، وهو السراج الذي يشعل للإضاءة. المُطَرِّزِيّ، ص222.

[7] خسرو، ص85.

- **قبرا يعقوب وزوجته:** ويقعان ضمن هذه المشاهد الموجود في الحرم الإبراهيمي، وهما قبران متجاوران الأيمن قبر النبي يعقوب عليه السلام والأيسر قبر زوجه"[1].

وتقع قبور الأنبياء داخل المسجد الإبراهيمي وتضم قبور ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام، وتقابلهما من ناحية يسار القبلة ثلاثة قبور أخرى هي قبور أزواجهم. وقد كان في الخارج في غربي المسجد قبر يوسف عليه السلام، حيث دفن هناك حين نقل من مصر بوصية، ولكنه رجع داخل المسجد بعد ان زيد عليه في البناء[2].

ويورد العبدري (700هـ/1300م) القبور مفصلا أماكنها: "وأول من مات من أهله ودفن في حبرون سارة زوجة إبراهيم ثم توفي إبراهيم فدفن بحذائها ثم توفيت ربقة زوجة إسحاق فدفنت فيها، ثم توفي اسحق فدفن بحذائها ثم توفي يعقوب فدفن عند باب المغارة ثم توفيت ليقة فدفنت بحذاء يعقوب، ثم ذكر ان اولاد يعقوب تشاجروا حتى سدوا باب المغارة، وحوطوا عليها حائطا وأعملوا فها علامات القبور، وكتبوا على كل قبر اسم صاحبه وخرجوا عنه وأطبقوا بابه فكان من جاء زائرا يطوف به"[3]

وقد نقل الجوزي(597هـ/1200م) عبارات مكتوبة على قبر ابراهيم الخليل على حجر العبارات التالية[4]

إلهـــــــي جهـــــــولا أملـــــــه يمـــــــوت مـــــــن جـــــــاء أجلـــــــه
ومـــــــن دنـــــــا مـــــــن حتفـــــــه لـــــــم تغـــــــن عنـــــــه حيلـــــــه
وكيـــــــف يبـــــــق آخـــــــر قـــــــد مـــــــات عنـــــــه أولـــــــه

[1] خسرو، ص85.
[2] العبدري، ص462
[3] العبدري، ص462-463، الظاهري، ص24.
[4] الجوزي، 328/2.

وهناك سرداب تحت الأرض بابُه في قبلة المسجد ينزل إليه درج كثيرة إلى سرداب ضيق تحت الأرض ينفتح على فجوة فيها ثلاثة شواهد قبور في حائط يقال أنها قبر الخليل وزوجته واسحق، وهناك طاقة لا يعرف إلى أين تنتهي لكن يقال أنها مغارة تحت ارض الحرم فيها مدفن للموتى[1].

وقد قام نبيُّ الله سليمان ببناء سور على قبور الأنبياء حفظا لكرامتهم وقدسيتهم ورفعا لمكانتهم، ويقال أنه أمر الجنَّ ببناء هذا السور، وقد ذكر ابن كثير ذلك في تاريخه "فقبره –إبراهيم– وقبر ولده إسحاق وقبر ولد ولده يعقوب في المربعة التي بناها سليمان بن داود عليه السلام ببلد حبرون[2].

- **مسجد اليقين:** والذي يعتقد أن بناءه كان زمن إبراهيم عليه السلام، وقد ذكر المقدسي(336هـ/947م) أنه يقع على فرسخ[3] من الخليل على جبل صغير جبل صغير مشرف على بحيرة تسمى بحيرة صغر[4]، أو زغرد[5]، أو زغر[6]، وأيا كان اختلاف المصادر في تسميتها فهذا راجع إلى قراءات المحققين أو توثيق الرحالة والمؤرخين أو اختلاف الروايات في التسمية.

ويشرف مسجد اليقين أيضا على موضع قريات لوط[7]، ويقال إن إبراهيم لمّا رأى قريات لوط في الهواء وقال "اشهد أن هذا هو الحقّ اليقين"[8] فلذلك سمى مسجد اليقين[9]، وكان بناء هذا المسجد في شهر شعبان سنة(352هـ/963م)[10] وهذا المسجد ذكره أكثر من واحد من الجغرافيين الذين زاروه وعاينوا مكانه[11].

---

[1] العمري،232/1العبدري، ص458، القرشي، ص104.

[2] ابن كثير، 405/1.

[3] **الفرسخ:** جمعها فراسخ وهو فارسي معرب، والفرسخ الساعة من النهار، وكذلك الفرسخ من المسافة المعلومة في الأرض مأخوذ منه، ومنه أخذ فرسخ الطريق كما قيل ويقدر ب5.9193 كيلو متر. عبد الجواد، ص34.

[4] المقدسي، ص153.

[5] المناهجي، 120/2.

[6] العصامي،168/1.

[7] **قريات لوط:** المقصود بها قرى قوم لوط التي عصت نبي الله لوطا وفعلت المحرمات فأخذها الله بالعذاب وقلب ديارها رأسا على عقب، واسم هذه القرى سدوم وعامورا وصابورا ودامورا. الطبري، (د.ت)، 426/15.

[8] المقدسي، ص153.

[9] الدِّيار بَكْري، (د.ت)، 1/ 127، المنهاجي،120/2، الحنبلي، 36/1.

[10] العصامي، 186/1.

[11] العبدري، ص465–466، أبن بطوطة 74/1.

- **مقام فاطمة:**

- يقع مقام فاطمة بنت الحسين[1] بن علي رضي الله عنهم بالقرب من مسجد اليقين المذكور، فقد ذكر العبدري وجود لوحين من رخام موضوعين عند القبر مثبتين عند رأس القبر ورجليه منقوش على أحديهما بخط مشرقي مليح" بسم الله الرحمن الرحيم، لله العزة والبقاء، وله ما ذرأ وبرأ، وعلى خلقه كتب الفناء، وفي رسول الله أسوة حسنة وعزاء، هذا قبر أم سلمة فاطمة بنت الحسين، وفي اللوح الآخر صنعه محمد بن أبي سهل النقاش بمصر وتحته هذه الأبيات من البحر البسيط:

أَسكنت من كان في الأحشاء مسكنه ... بالرغم مني بين التـرب والحجـر
يا قبر فاطمة بنت ابن فاطمة ... بنت الأئمة بنت الأنجم الزهر
يا قبر بنت الزكي الطاهر الحسن الـ ... ـنَدْب الهمام حسينٍ أطهر البشر
يا قبر ما فيك من دين ومن ورع ... ومن عفاف ومن صون ومن خفر"[2]

وكان موضع البيت الثالث من اللوح مثلوما فذهب عجز البيت ولم يبق إلا الألف واللام والنون من الندب، فكملت عليه بقية البيت[3].

- **قبر مقام يونس عليه السلام** في بلدة حلحول على يسار الذاهب إلى القدس[4] بعد ثلاثة أميال من الخليل وعليه بناء كبير ومسجد[5] وقبة وكان له خادم[6].

ثانيا: مصادر المياه

عانت مدينتا القدس والخليل من شح الموارد المائية، والتي كانت من أكبر الصعوبات والتحديات التي واجهت استقرار الناس في المدينة والتي كان يتوجب عليهم مواجهتها والتخفيف من آثارها. وتدلنا المصادر الجغرافية

---

[1] فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، تابعية من راويات الحديث، توفيت سنة110هـ. الزركلي، 130/5.

[2] العبدري، ص467.

[3] المصدر، ص467.

[4] العمري،238/1.

[5] العبدري، ص468.

[6] **حلحول:** بلدة فلسطينية تقع بين بيت المقدس والخليل، وبها قبر يونس بن متى، عليهما السلام. الحموي، 290/2.

على الإجراءات التي كانت تتم والإنشاءات التي تبنى من أجل توفير الاحتياجات المائية للمدينة، وتعويض نقص المياه وانعدام مصادرها آنذاك. "فليس ببيت المقدّس ماء جار[1] سوى عيون لا تتّسع للزروع"[2] فقد كانت مياه الأمطار المورد الرئيس للمياه في مدينة القدس[3] إضافة إلى بعض الينابيع الموجودة فيها، وينسحب الأمر على مدينة الخليل كونهما في نفس النطاق الجغرافي والمنطقة المناخية والتي تقع ضمن مناخ البحر الأبيض المتوسط، وهذا يعني أن الأمطار فيهما موسمية مرتبطة بفصل الشتاء.

كان أهالي القدس يلجأون إلى تخزين المياهعن طريقا للآبار التي يحفرونها والصهاريج التي كانوا يبنونها، وكانوا يصنعون الميازيب من أجل توزيع الماء وإيصاله إلى البيوت والمساجد بكل سهولة ويسر.

وتضم القدس أحواضا بناها القدامى لحفظ المياه، وهم الذين قاموا بحفر البرك كبركة ماميلاوبركة السلطان[4]، وبركة حزقيا[5]. وقد ذكر صاحب إتحاف الأخِصَّا أنَّ ملكا من ملوك بني إسرائيل يسمى حزقيل[6] عمل في بيت المقدس ست برك: منها ثلاث في المدينة بركة بني إسرائيل وبركة سليمان وبركة عياض، وثلاث خارج المدينة بركة ماملا وبركتا المرجيع، وقد جعل ذلك خزائن لأهل بيت المقدس[7]. وحينما احتل الرومان مدينة القدس فكروا في إمدادها بماء العَرُّوب[8]، من أَجل ذلك أنشأوا القناة الرومانية المعروفة أيام هيرودوت الكبير

---

[1] الاصطخري، ص57، مجهول، ص177.

[2] الاصطخري، ص57.

[3] خسرو، ص75، الحموي، 168/5، القزويني، ص160.

[4] **برك السلطان:** تقع جنوب القدس بالقرب من بيت لحم، وتبعد خمسة عشر كيلو متر عن القدس، وهي الثلاثة يطلق عليها برك المرجيع، وهي البركة الفوقا، التي ترتفع عن سطح البحر 797مترا ونصف، والبركة الوسطى التي ترتفع عن سطح البحر 783مترا، والبركة التحتا التي ترتفع عن سطح البحر 768مترا. امطير، ص24.

[5] **بركة حزقيا:** بركة البطرك أو بركة حزقيا ومن أسمائها، مثل بركة حارة النصارى أو بركة باب الخليل (لقربها منه) أو بركة خان الأقباط هي بركة أثرية تقع داخل أسوار البلدة القديمة في مدينة القدس، بين سويقة علوان وحارة النصارى. وقد وجد خزان مفتوح يعود إلى فترة العصور الوسطى، وهو مرتبط بالحمامات العامة من ناحية الشرق؛ لذا كانت هذه البركة مصدرا لتزويد الحمامات العامة في المدينة بالمياه، وكانت تستمد مياهها من الأمطار، فضلاً عما تتزود به من بركة ماميل االخارجية. حيث وجدت مياه تصل ما بين البركتين وتدخل القدس من تحت السور الشمالي أو ما يعرف بباب الخليل. امطير، ص22.

[6] **حزقيل:** أحد أنبياء بني اسرائيل ويسمى حزقيل بن بوذي، ويقال له ابن العجوز لأنَّ أمَّهُ سألت الله عز وجل الولد بعد ما كبرت وعقمت فوهبه الله لها، ويقال أنه الذي دعا للقوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، فقال لهم الله: موتوا ثم أحياهم. الجوزي، 380/1. المنهاجي،1/ 216.

[7] **العَرُّوب:** اسم قريتين بناحية القدس فيهما عينان عظيمتان وبركتان وبساتين نزهة. الحموي، 112/4.

30ق.م، وقد هدمت وحاول بيلاطس بونتيوس[1] إصلاحها وتم ذلك بعد صعوبات كبيرة لاقاها من اليهود، ثم أقام الامبراطور سبتيموس سفيروس[2] 195م قناة، ولكن خربت القناتان بعد ذلك. ولما جاء العهد الإسلامي اهتم المسلمون بتزويد المدينة بالماء، وقد ظلت برك سليمان تمد المدينة بالمياه بواسطة قناة السبيل التي عمرها المماليك[3].

وقد ذكر خسرو(ت394هـ/1004م) قضية المصادر المائية للقدس وكيفية التعامل معها في سياق حديثه عن توفير المياه في المسجد الأقصى "وقد حفرت في أرض المسجد أحواضٌ وصهاريج كثيرة، فإنّ المسجد مشيّدٌ كلّه على صخرةٍ يتجمّع فيها ماء المطر فلا تضيع منه قطرة وينتفع به الناس.وهناك ميازيب من الرصاص ينزل منها الماء إلى أحواض حجرية تحتها، وقد ثقبت هذه الأحواض ليخرج منها الماء ويصبّ في الصهاريج بواسطة قنوات بينها، غير ملوّث أو عفن، وقد رأيت على بعد ثلاثة فراسخ من المدينة صهريجاً كبيراً تنحدر إليه المياه من الجبل وتتجمّع فيه، وقد أوصلوه بقناة إلى المسجد حيث يوجد أكبر مقدار من مياه المدينة"[4].

تدلنا هذه الإجراءات على الحرص على استمرار توفير المياه للمدينة طوال العام بإقامة الإنشاءات الخاصة بها من صهاريج وآبار وقنوات توزيع مع ضرورة الحفاظ على نظافتها وعدم اتساخها، فغياب المصادر الأخرى وشحِّها كان دافعا قويا من دوافع القيام بهذه الإجراءات والتي استطاعوا من خلالها التغلب على مشكلة شح المصادر المائية في المدينة.

ولأن مياه الأمطار هي المصدر الرئيس للمدينة والذي يستخدمه أهلها في الشرب والغسيل وغيره، فقد كانوا يعمدون إلى تبليط دروب المدينة بالحجارة حتى لا تضيع مياه الأمطار ويسهل جمعها في الصهاريج إضافة

---

[1] **بيلاطس بونتيوس:** الحاكم على فلسطين من قبل الحكومة الرومانية سنة 29م، وقد أقيل من وظيفته لقسوته ونفي إلى فرنسا ومات هناك، ويعتقد النصارى بأنه تمت على يده محاكمة المسيح. الهاشمي، 187/1.

[2] **سبتيموس سفيروس:** أحد أباطرة روما الذين جلسوا على عرشها سنة 193 للميلاد، وكان بربريا من مواليد لمطة على الساحل الإفريقى ويقال: بل من مواليد لبدة بجوار طرابلس. ضيف، 113/9.

[3] زايد، ص17-18.

[4] خسرو، ص75.

إلى الحفاظ على نظافتها من الأوساخ، وهذا واضح في آثار البلاد للقزويني (682هـ/1283م) "أن شرب أهل القدس من ماء المطر وأنه ليس فيها دار إلا وفيها صهريج وان مياهها تجتمع من الدروب ودروبها حجرية ليست كثيرة الدنس"[1]

وذكر القزويني بعض البرك المعروفة آنذاك لكن مياهها رديئة وفيها ثلاث برك: بركة بني إسرائيل وبركة سليمان وبركة عياض"[2]، أما بركة بني إسرائيل فقد قال عنها صاحب الأنس الجليل "فهي موجودة مشهورة وتقع شمالي المسجد الأقصى بلصق سوره بين باب الأسباط وباب حطة ومنظرها مهول وهي من العجائب"[3]، أما البركتين الاخريين فليس ما يدل عليهما[4]، أما بركة ماملا فهي موجودة مشهورة وهي التي في وسط مقبرة ماملا، وأما بركتا المرجيع منها بالقرب من قرية أرطاس وهما موجودتان ينتفع بهما في خزن الماء الواصل من قناة السيل إلىالقدس الشريف.

وكان على كل إنسان أن يجمع الماء لمنزله عن طريق جمع مياه الأسطح في أحواض مخصصة لذلك، وهذا ما ذكره خسرو أيضا حين قال "وفي المنازل كلّها أحواض لجمع ماء المطر، إذ لا يوجد غيره هناك، ويجمع كلّ إنسان ما على سطح بيته من مياه، فإنّ ماء المطر هو الذي يستعمل في الحمامات وغيرها"[5].

ولأن أحواض القدس حجرية فهي صالحة أبدا ولا تحتاج لإصلاح لصلابتها، وكان يتم صيانة ما يتشقق منها دائما حتى لا تخرب ويفسد ماؤها[6]. ويقال إنّ سليمان عليه السلام هو الذي عمل هذه الأحواض، وقد جعل القسم الأعلى منها على هيئة التنور، وعلى رأس كلّ حوض غطاء من حجر حتى لا يسقط فيه شيء، ولذلك

[1] القزويني، ص160-161، الحموي، 168/5، المقدسي،197.
[2] القزويني، ص160-161، الحموي، 168/5، المقدسي،197.
[3] الحنبلي،2/ 59.
[4] المصدر نفسه، 59/2.
[5] خسرو، ص75
[6] المصدر نفسه، ص75

يعتبر ماؤها أعذب وأنقى من أيّ مكان آخر[1]، وكانت البيوت كذلك تحتوي على الابار والبرك التي تجمع المياه من السيول[2].

ورأى العيَّاشي(1051هـ/ 1641م) أحواض القدس التي تجلب الماء إليها أثناء سفره من القدس إلى الخليل وأورد ذلك في كتابه المعروف بـ"رحلة العيَّاشي" والتي قام بها بين(1071-1073هـ/1661-1663م)، وقد وصف العيَّاشي هذه الأحواض والتي سماها بالجوابي[3] بقوله: "ومررنا بالجوابي التي يأتي منها الماء إلى المسجد الأقصى وهي جوابي عظيمة في غاية السعة لم أرَ أوسع منها وهي ثلاثة متوالية يجتمع فيها الماء من عين هناك حتى إذا امتلأت ذهب في قنوات محكمات تحت الأرض إلى أن يدخل المسجد الأقصى"[4].

تعتبر العيون والينابيع مصدرا ثانيا من مصادر المياه لمدينة القدس والتي كان الناس يستخدمونها في قضاء حاجاتهم المائية بالإضافة إلى المياه المخزنة من فصل الشتاء. وقد كانت العيون تغور أحيانا ويقل ماؤها في سنوات القيظ وقلة الأمطار[5].

ذكرت المصادر الجغرافية بعض العيون التاريخية في مدينة القدس وعلى رأسها عين سلوان[6]، وهذه العين "يتبرك بها الناس، وقد وقفها عثمان بن عفان على ضعفاء بيت المقدس، ويقال إن ماءها يفيد السلوَّ إذا شربها الحزين"[7] وتخرج من تحت قبة الصخرة وتظهر بالوادي وماؤها مثل ماء زمزم[8]، ويزعمون أن الله عز وجل أظهرها لمريم حين أرادت أن تغتسل[9].

---

[1] المصدر نفسه، ص75

[2] المقدسي، ص168، الحموي، 168/5، القزويني، ص161.

[3] **الجوابي:** هي الأحواض الضخمة التي يجمع فيها الماء. وقد وردت في القران الكريم في قوله تعالى عند حديثه عن سيدنا سليمان عليه السلام وتسخير الجن له ﴿يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ١٣﴾[سبأ:13].

[4] العيَّاشي، 457/2.

[5] المصدر نفسه، 457/2.

[6] **عين سلوان:** عين ماء تقع في وادي جهنم، في القدس. القطيعي، مراصد الاطلاع، 977/2.

[7] القزويني، ص163.

[8] الهروي، ص34.

[9] المقدسي، 87/4، العمري، 543/3.

لا تختلف الظروف التاريخية والجغرافية لمدينة الخليل عن تلك مثيلتها من تلك الظروف في مدينة القدس، وينسحب هذا الأمر على المصادر المائية وتوفرها والإجراءات التي كانت تتم للمحافظة على ديمومتها واستمرار توفرها لاحتياجات السكان والزوار.

فالأوضاع المائية في الخليل كمثيلتها في القدس وكذلك الإجراءات التي كانت تستخدم في ذلك الزمان من اجل ضمان استمرار تدفقها كي ينتفع منها الناس آنذاك، فقد ذكرت المصادر وجود بعض العيون التي تغذي مدينة الخليل عبر قناة صنعت خصيصا لذلك الهدف، وهذه القناة كانت ضعيفة الماء في القرن (الرابع الهجري/العاشر الميلادي) حيث ذكر المقدسي(381هـ/991م) أن "لهم قناة ضعيفة"[1].

وذكر خسرو (ت394هـ/1004م) أنه كان في الخليل "عين ماء تخرج من الصخر يتفجر ماؤها رويدا رويدا وهو ينقل من مسافة بعيدة بواسطة قناة إلى خارج القرية حيث بنى حوض مغطى يصب فيه الماء فلا يذهب هباء حتى يفي بحاجة أهل القرية وغيرهم من الزائرين"[2]

ويضيف العمري(749هـ/1349م) أن الأمير المملوكي "بكتمر الجوكندار[3] أجرى إليها عين ماء كانت على بعد منها وأنه شاهد الماء جاريا فيها في طبقة علية يصعد إليها من نحو عرين درجة من العلو[4].

نستنتج من خلال استقراء الروايات الجغرافية أنه رغم قلة العيون والينابيع التي كانت تحيط بمنطقتي الخليل والقدس إلا أن الماء كان متوفرا بسبب الإجراءات التي كانت تتم والإنشاءات التي كانوا يقومون بها من أجل الحفاظ على توافر المياه للزائرين والسكان طوال العام وكذلك تلبية احتياجات سكانها.

---

[1] المقدسي، ص172.

[2] خسرو، ص67.

[3] **الجوكندار**: بكتمر بن عبد الله. كان أحد الأمراء المماليك الذين يشار إليهم، عمل نائبا في بعض القلاع، ثم نقل إلى نيابة صفد وأقام بها نحو سنتين، وكان في خدمته إذ ذاك ثمانمائة مملوك، لما حضر الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك، لاقاه إلى دمشق، وحضر معه إلى القاهرة؛ فجعله الملك الناصر نائب السلطنة بالديار المصرية. ابن تغري بردي، 398/3.

[4] العمري، 376/3.

ثالثا: المستشفيات

تعدُّ المستشفيات من المؤسسات الاجتماعية المهمة في بيت المقدس، والواقع أن بيت المقدس شهدت وجود المستشفيات منذ العصر الفاطمي وفترة الاحتلال الفرنجي للمدينة[1]، فقد ذكر خسرو الذي زار فلسطين خلال سيطرة الفاطميين عليها وجود مستشفى في القدس لكنه لم يذكر مرافق هذا المستشفى ولا القائمين عليها ولا قدرته الاستيعابية ولا الخدمات التي يقدمها وإنما اكتفى بالقول أن هذا المستشفى عظيم وعليه أوقاف كثيرة طائلة وأنه صرف لمرضاه العلاج والدواء، وأن به أطباء يأخذون مرتباتهم من الوقف المقرر لهذا المستشفى[2].

تشير المصادر إلى أن صلاح الدين سمح لعشرة من الصليبيين أن يبقوا لمعالجة المرضى النصارى لبعض الوقت[3]. وقد أورد ابن شداد، الذي كان معاصرا لاسترداد بيت المقدس من الفرنجة، في معرض حديثه عن حوادث سنة (588هـ/1192م): "وأمرني السلطان بالمقام في القدس الشريف لعمارة بيمارستان أنشأه فيه وإدارة المدرسة التي أنشأها"[4]، ويشير الحنبلي إلى أن صلاح الدين "جعل الكنيسة المجاورة لدار الإسبتارية بقرب قمامة بيمارستان للمرضى ووقف عليه مواضع ووضع فيه ما يحتاج من الأدوية والعقاقير"[5].

وكان البيمارستان الصَّلاحي، الذي أنشأه صلاح الدين الأيوبي في مكان الكنيسة المجاورة لدار الإسبتارية قرب كنيسة القيامة، أهم بيمارستانات بيت المقدس خلال العهد الأيوبي، إضافة لكونه مركزاً لتعليم الطب نظريا وتطبيقياً. ولم يكن البيمارستان الصَّلاحي على نفس درجة شهرة البيمارستان النوري في دمشق، لكنه كان يودي دوراً مقدَّرا في النواحي العلاجية والتعليمية في بيت المقدس[6].

---

[1] النقر، ص111.

[2] خسرو، ص68.

[3] النقر، ص111.

[4] ابن شداد، ص354.

[5] الحنبلي، 391/2.

[6] النقر، ص178.

أما مدينة الخليل فلم يرد الذكر في أي من المصادر الجغرافية على وجود المستشفيات بها في تلك الحقب التي تناولتها ذكرا وتفصيلا، وهذا راجع ربما إلى كونها في منطقة شبه معزولة مع قلة ساكنيها، رغم أنها كانت وجهة للزوار في ذلك الوقت.

الفصل الثالث

الأوضاع الاقتصادية

أولا: الزراعة

تلعب الزراعة دورا مهما وأساسيا في حياة الإنسان، فمنذ أن استوطن فلسطين منذ مائة ألف سنة كان يعيش فيها على الرعي والصيد، ساكنا للكهوف والمغاور، ومع مرور الزمن استقر في أماكن محددة يزرع النباتات البرية ويروض الحيوانات ويدجّنها ويصنع أدواته الزراعية ليسهل على نفسه الزراعة والحصاد، ثم وصل إلى مرحلة الاقتصاد الإنتاجي القائم على الزراعة والرعي بعدما كان مستهلكا في مرحلة الجمع والالتقاط[1].

تميزت فلسطين بتنوع مناطقها المناخية الزراعية بدءاً بإقليم الأشجار المثمرة والخضار المتنوعة، وانتهاء بالإقليم الخاص بالأعشاب والنباتات الصحراوية في منطقة جنوب فلسطين التي تمثل صحراء حقيقية[2]، كما ساهم تنوع مصادر المياه فيها في زيادة الإنتاج الزراعي وتنوعه في فلسطين، وكان الاعتماد قديما في الزراعة على مياه الأمطار كما تقول المصادر "أشجارها وزروعها أعذاء"[3]، وقد وصفها المقدسي بأنها "مشجرة الجبال زريعة السهول من غير سقي وأنها تفيض لبنا وعسلا"[4].

بالرغم مما أشارت له بعض المصادر عن طبيعة بيت المقدس الصخرية ووقوعها في ارض جبلية مرتفعة تحيط بها الجبال فضلا عن عدم وجود الأنهار والآبار، وطبيعة أحوالها المناخية من الرياح والأمطار والحرارة مما يؤثر فيعدم الصلاحية للزراعة إلا أنه وجد في أطراف المدينة وحولها كثير من الأودية والقرى بما تخللها من موارد مياه قد يسرت لها العديد من المناطق الزراعية التي أمدَّت المدينة بحاجة سكانها من حبوب وفواكه

---

[1] المبيض، ص9، البدور، ص33.

[2] البدور، ص33.

[3] الاصطخري، ص56. **والعِذْيُ**: اسمٌ للموضِعِ الذي ينبت في الشّتاء والصّيف من غير سقيٍ. ويقال: العِذْيُ: الزّرع الذي لا يُسقَى إلاّ من المطر لبعده من المياه. الفراهيدي، 2/ 229.

[4] المقدسي، ص173.

وخضروات، وخير دليل على ذلك ما أورده خسرو الذي زارها سنة(438هـ/1047م) حيث قال في وصفها" وسواد ورساتيق بيت المقدس جبلية كلها والزراعة وأشجار الزيتون والتين وغيرها تنبت كلها بغير ماء والخيرات بها كثيرة ورخيصة وفيها أرباب عائلات يملك الواحد منهم خمسين ألف مَنٍّ[1] مِنَ زيت الزيتون يحفظونها في الآبار والأحواض ويصدرونها إلى أطراف العالم"[2].

ويصفها في موضع آخر واصفا بساتينها" وحين يسير السائر من المدينة جنوبا مسافة نصف فرسخ وينزل المنحدر يجد عين ماء تنبع من الصخر تسمى عين سلوان وقد أقيمت عندها عمارات كثيرة ويمر ماء هذا العين بقرية شيدوا فيها عمارات كثيرة وغرسوا بها البساتين"[3].

وتعتبر الحقول التي كانت تروى من بركة سلوان أو مجرى نهر جيحون من أخصب الأراضي الزراعية في فلسطين، وبعض هذه الأراضي كانت تنتج في السنة أربعة محاصيل لتوفر مياه الري اللازمة لها[4]، أما الأودية الممتدة بين القدس وبيت لحم والخليل، والتي تقدر بستة فراسخ[5]بها قرى كثيرة وزرع وحدائق وشجر بري لا يحصى من عنب وتين وزيتون وسمَّاق، وعلى فرسخين من بيت المقدس أربع قرى بها عين وحدائق وبساتين كثيرة تسمى الفراديس لجمال موقعها[6]. ولنا أن نتصور حجم تلك المنطقة الممتدة بين القدس والخليل وما تخللها من مزارع ووديان وموارد مياه حيث كان المسافر يقطع تلك المسافة في تلك الأزمنة في يوم كامل[7].

---

[1] **المَنّ:** لغة في المَنَا الذي يوزن به. يساوي شرعا رطلين كل رطل 130درهم. عبد الجواد، ص17.

[2] خسرو، ص55-56.

[3] المصدر نفسه، ص57.

[4] علي، ص192.

[5] خسرو، ص70.

[6] خسرو، ص70، علي، 193.

[7] ابن عبد الحق، 480/1.

وكانت التلال المحيطة بالقدس تمثل إحدى المناطق الزراعية المهمة للمدينة ذاتها، واشتهرت أسماء تلك التلال باسم المحاصيل التي كانت تزرع بها مثل "تل الفول"[1] على سبيل المثال لا الحصر، وهذا يبين أن سكان القدس تاريخيا كانوا يستغلون أي مساحة متوفرة في الزراعة من أجل زيادة الإنتاج وتوفير الاحتياجات.

لقد توفر لمدينة القدس من المناطق الزراعية الكثير والتي تمثلها القرى والتلال والوديان المختلفة القريبة منها والواقعة ضمن نطاقها، ذلك لأن تلك المناطق توفرت فيها موارد المياه التي تفي بحاجة أراضيها للزراعة، فقد كانت المدينة تعتمد على الإنتاج الزراعي الذي كان ينقل لها ويباع في أسواقها من تلك المناطق، لأن تلك المناطق كانت تابعة لمدينة القدس باعتبارها ولاية ثم نيابة بعد ذلك، فضلا عن وجود المناطق المسطحة داخل المدينة والتي ربما استغلت بالزراعة[2].

أما النظم الزراعية التي كانت مستخدمة فشحيح ذكرها في المصادر إلا أورده ابن الصيرفي في أحداث سنة(876هـ/1417م) أيام السلطان الأشرف قايتباي عن استئجار برهان الدين العجلوني[3] من " وكيلين عن أميرين بالشام قطعة أرض مدة معلومة وحكم بها حاكم شرعي وتوجه ليزرعها فوجدها مزروعة لغيره فأخذ من الذين زرعوها مقاسمته على عادة البلاد الشامية"[4] وهذا يبين أن أرض بيت المقدس كانت تزرع بنظام المقاسمة[5] والذي يعتبر أحد ميزات نظام الإقطاع الزراعي الذي ساد في تلك العصور[6].

أما الآلات والحيوانات المستخدمة في ذلك الوقت فقد كان الفلاح يستخدم محراثا خشبيا يجره ثور وحمار، وأحيانا يستخدم الجواميس والبقر في جر المحراث، وكانت الحمير تشكل بالنسبة للفلاح في ذلك الوقت من

---

[1] **تل الفول:** يقع على بعد 4 أميال شمال القدس شرقي الطريق من القدس إلى نابلس، كما يقع على بعد خمس كيلو مترات إلى الشمال من بوابة دمشق في القدس، ويطل حاليا على الطريق المؤدي إلى مدينة نابلس. الدسوقى، ص300، علي، ص193.

[2] علي، ص193.

[3] **برهان الدين العجلوني:** إبراهيم بن أحمد بن حسن بن أحمد بن محمد بن أحمد المقدسي الشافعي نزيل القاهرة كان تاجرا في القمح ببعض حوانيت القدس وافتقر في آخر أيامه مات سنة(885هـ/1480م). السخاوي، 11/1.

[4] ابن الصيرفي، ص417-418. الزركلي، 188/5.

[5] **المقاسمة:** وهي ان يتولى أحد الأشخاص استئجار الأرض من مقطعها ويقوم هو بالإنفاق عليها وشراء كل ما يلزمها، ثم يتقاسم ثمن المحصول هو ومن قام بزراعتها. علي، ص196.

[6] علي، القدس في العصر المملوكي، ص196.

أهم ممتلكاته التي يحرص عليها، لحمل الأثقال والعمل في الحقل والتنقل إلى الأماكن البعيدة للحمل نظرا لطبيعة البلاد الصخرية، فقد كان لأهل القدس أعداد كبيرة من الحمير استخدموها في تنقلاتهم الداخلية [1]، كما استخدم الناس الإبل لنقل المياه لري المزروعات من بعض الآبار المسماة بالبئر الناضح، واستخدمت مجموعة من الآلات والأدوات والزراعية في الري لرفع المياه إلى الحقول، ومن هذه الآلات الناعور [2] والدولاب [3] والدالية [4] وقد أورد المقدسي ذكرا لبعض هذه الآلات التي استخدمت آنذاك" ففي أسفل بحيرة طبرية جسر عظيم وشربهم منها بما يدور عليها [5].

وفي زمن الاحتلال الصليبي خضعت حراثة الأرض لبعض القوانين، فالأرض التي تم حراثتها من أجل زراعة الذرة لمدة عام، يجب زراعتها بمحاصيل أخرى في العام القادم وكان الفلاحون الفلسطينيون والمستوطنون الأوروبيون يتبعون دورة زراعية مدتها عامين، بحيث تقسم الأراضي الزراعية إلى قسمين، كان يزرع في نصف أراضي القسم الأول المحاصيل الشتوية الحبوب والشعير، بينما تزرع بعض أراضي القسم الثاني من القسم الأول بالخضروات، ويترك بعضها للراحة، بعد أن يتم حراثتها. وفي فصل الصيف تزرع جميع الأرض بالمحاصيل الصيفية مثل السمسم والذرة وفي السنة الثانية تترك أراضي القسم الأول للراحة، بينما تزرع القسم الثاني بالحبوب الشتوية وقام الفلاحون بإنشاء القنوات والمجاري المائية لري الأراضي الزراعية حيث وجدت بالقرب من نابلس وأريحا [6].

---

[1] المرجع نفسه، ص197.

[2] **الناعورة:** آلة مستديرة تمل بواسطة تيار الماء ليرفع بها الماء. وهي من أكثر أدوات الري انتشارا في بلاد الشام. البدور، سليمان، ص57.

[3] **الدولاب:** عجلة مائية كالناعورة لكنه يعمل بواسطة الدواب كالثيران أو البغال أو الجمال، أو بقوة جراي الماء نفسه، فيرتفع به الماء من النهر إلى الأرض المراد إيصال الماء إليها. البدور، ص57.

[4] **الدالية:** دولاب يدار من قبل الرجال زهي ثلاثة أنواع (فارسية، وكوفية، ومحدثة). البدور، ص57.

[5] المقدسي، ص161.

[6] امطير، ص73-74.

وكانت السنة الزراعية تبدأ قبل سقوط المطر، حيث تبدأ الحراثة في منتصف شهر تشرين ثاني وتدعى فلاحة الشتاء حيث تترك محروثة في فصل الخريف، ثم تحرث مرة أخرى في فصل الربيع[1].

وقد اختصت بيت المقدس والخليل وغيرها من الأراضي الفلسطينية بعدد من المحاصيل الزراعية التي كانت تنتجها آنذاك، من الأصناف التي لم توجد في غيرها من البلدان، وقد ذكر المقدسي بعض تلك الأصناف منها ما هو مألوف في عصرنا ومنها ما هو غير ذلك، فعلى سبيل المثال ذكر ما يسمى بـ"قضم قريش[2] والمعنّقة[3] والعينونىّ[4] والأنجاص الكافوريّ وتين السباعىّ والجمّيز[5] والخروب والعكّوب[6] والعنّاب[7] وقصب السكر والتفّاح الشامىّ[8] والرطب والزيتون والاترجّ[9] والراسن[10] والنارنج[11] واللّفّاح[12] والنبق[13] والجوز واللوز والموز والسّمّاق والكرنب[14] والترمس والعنب والتين[15]. فضلا عن كثرة حقول القمح في تلك المنطقة إلى جانب مزارع الشعير[16] وغيرها الكثير من الأصناف التي تدل على تنوع المزروعات وكثرتها وأن هذه البلاد بلاد خير ووفرة على مرِّ العصور.

---

[1] امطير، ص74.

[2] **قضم قريش:** هو الصّنوبر الصّغير. النويري، 299/11.

[3] **المعنَّقة:** يقال أنها السفرجل. شلوف والفراني، م20/ع2/ 212.

[4] **العينوني:** ويقصد به زبيب العينونىّ. المقدسي، ص180. وعينون قرية من قرى بيت المقدس. السمعاني، 429/9.

[5] **الجميز:** شجرة كبيرة تشبه شجرة التين لها لبن كثير جدا وورقها يشبه ورق التوت، يثمر ثلاث وأربع مرات في السنة. ابن سينا 425/1.

[6] **العكوب:** وهو اسم عربي للحرشف. الرازي، 116/6. وهي بقلة برية شوكية ربيعية تنبت في الجبال. شلوف والفراني، ص212.

[7] العناب: شجر شائك من الفصيلة السدرية يبلغ طوله ستة أمتار، ولها ثمر أحمر يعرف بنفس الاسم. الشيباني، 569/7.

[8] المقدسي، ص181.

[9] **الاترج:** فاكهة كبيرة، طعمها مثل الليمون، وهو من الفصيلة البرتقالية ويسمى عند العرب "ليمون اليهود" لأنهم يحملونه في أعيادهم. يتكون ثمر الأترج من قشر، لب، حامض، بذر، وتسمى التربج. الشافعي، 83/2، المقدسي، ص166.

[10] **الراسن:** ويقصد به زنجبيل الشام. الزبيدي، تاج العروس، 144/29.

[11] **النارنج:** البرتقال: نوع من الليمون سمى باسم الذين نقلوه من الصين، وهم البرتغاليون، ولم يعرفه قدماء العرب وإنما عرفوا النارنج ولكن الاوروبيين أخذوا اسم النارنج وحولوه إلى البرتقال فقالوا محرفين: Orange. رضا، 263/1.

[12] **اللفَّاح:** نَبَات يَقطيني أصفر شَبيه بالباذنجان. ابن سيده، 285/3.

[13] **النبق:** النبق ثَمَر السدر الْوَاحِدَة نبقة. ابن دريد،373/1.

[14] **الكرنب:** هو القرنبيط. الزبيدي، 20/ 56.

[15] المقدسي، ص181، علي، ص192.

[16] علي، ص192.

وقد اشتهرت الخليل بزراعة الشعير[1] والذي كان وفيرا فيها وفق ما أشار خسرو "أن أغلب الزراعة في الخليل الشعير أما القمح فكان قليلا"[2] وقلة القمح هنا لا تعني شُحَّ وجوده فقد كان يزرع في مناطق أخرى من فلسطين كالساحل الجنوبي في برِّ عسقلان[3]، كذلك زرعت مناطق الخليل العدس ضمن مجموعة البقوليات التي وجدت في فلسطين[4]. وذكر المؤرخون أن الهكتار من البذار يحتاج إلى (52) كغم، وينضج الشعير في العادة في فترة مبكرة ولذلك يحصد قبل القمح خوفاً من تقلص حباته واصفرار لونه[5].

ومن المعروف أن أهالي الخليل كانوا يقدمون للضيوف والمسافرين والزائرين الخبز والزيتون[6]، وذلك اشتهروا بطبخ العدس[7] وهذا دليل على توفره فيها كون الخليل محط أنظار الزوار والمسافرين في ذلك الوقت، والذين كانت تتم ضيافتهم من قبل أهل الخليل باعتبارهم زورا للحرم الإبراهيمي.

أما الزيتون الذي ذكره الله تعالى في قوله ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢﴾[التين:1-2]. فمنتشر بكثرة في سائر فلسطين وليس في القدس والخليل وحسب وقد ضرب المثل في كثرة زيتون فلسطين فقيل "مثل بلد فلسطين في كثرة الزيتون"[8]. ولكثرة ما زرع فيه من زيتون أطلق على أحد جبال القدس "جبل الزيتون"[9] كما وصفت مدينة الخليل أيضا بان الزيتون فيها كثير[10]، وقد بلغ من كثرة زيت الزيتون أن البعض كانوا يحفظونه في الآبار والأحواض ويصدرونه إلى أطراف العالم[11].

---

[1] المرجع نفسه، ص192، امطير، ص80.

[2] خسرو، ص73.

[3] شلوف والفراني، ص213.

[4] المقدسي173، خسرو، ص73.

[5] امطير، ص80.

[6] خسرو، ص73، البدور، سليمان، ص35.

[7] المقدسي، ص172.

[8] ابن العديم،60/1، العزيزي، ص85، ابن شداد، ص54.

[9] ابن حوقل، 159/1، شلوف والفران، ص214، البدور، ص37.

[10] خسرو، ص73، الاصطخري، ص58، المقدسي، ص181، شلوف والفران، ص214، علي، ص194.

[11] خسرو، ص73.

ومن بين الأشجار المثمرة التي تزرع في أكثر المناطق الفلسطينية بما فيها مناطق القدس والخليل شجرة التين والتي ذكرت في القران الكريم إلى جانب الزيتون[1]، فالمناطق التي تصلح لزراعة الزيتون هي نفسها التي تصلح لزراعة التين أي أنهما ينبتان في نفس الظروف المناخية تقريبا، فهما متواجدان في أكثر المناطق الفلسطينية لدرجة أن المقدسي يذكرهما ضمن الصادرات التي وجدت في فلسطين "الزيت والقطين"[2].

ووجد في القدس الرطب[3]إضافة إلى الموز[4]، كما وزُرِعت الفواكه وبالأخص التفاح على مرتفعات جبل نصرة[5] في الخليل الذي اشتهر بوفرته وكثرة فاكهته[6] وكانت فيه من كلّ جانب قرى وكروم وأعناب وتفّاح[7]

وقد كانت الأراضي الزراعية في فلسطين صالحة لنمو جميع أنواع الخضروات، وقد ذكر الرحالة والحجاج الذين زاروا فلسطين أنها كانت تشتهر بجميع أنواع الخضروات التي تكثر بجميع أنواعها في الأراضي الفلسطينية مثل الخيار والقرع[8].

كما اهتم المزارعون الفلسطينيون بزراعه البطيخ الأحمر والشمام الأصفر، وكانت الخبيزة تنمو في الأراضي المحروثة، إضافة إلى والنباتات الطبيعية، التي تنمو في معظم أراضي فلسطين ولكنها تكثر في المناطق الجبلية. ومعظم هذه والنباتات تنمو دون أن يقوم الفلاحون بزراعتها، أي أنها تنمو بَرّيًا، مثل فيها الميرمية والسذاب[9] والشومر وغيرها النباتات والأعشاب الطبية الأخرى[10].

---

[1] شلوف والفراني، ص215.

[2] المقدسي، ص180.

[3] المصدر نفسه، ص166.

[4] المصدر نفسه، ص166.

[5] **جبل نصرة**: من جبال الخليل، ويسمى أيضا جبل نضرة. المقدسي، ص172.

[6] المقدسي، ص173، هوتسما وآخرون، 4735/15.

[7] المقدسي، ص172، علي، ص194.

[8] امطير، ص80.

[9] **السذاب**: وهو الفيجن، ويقع ضمن البقليات. القاموس المحيط، ص96.

[10] امطير، ص81.

واشتهرت هذه البلاد أيضا بزراعة قصب السكر. وقد ذكر المقدسي أن قصب السكر كان من خيرات فلسطين[1] كما اشتهرت المنطقة بأشجار الكرمة؛ لأن المناخ والتربة كان يناسب هذا النوع من الزراعة وقد أفاض الرحالة والجغرافيون الذين زاروا فلسطين أن أشجار الكرمة حظيت باهتمام سكان فلسطين وعنايتهم، فقد أشار الاصطخري في حديثه عن فلسطين إلى وجود أشجار الكرمة، إذ يقول "وسائر جبال فلسطين وسهلها زيتون وجميز وعنب وسائر الفواكه أقل من ذلك"[2].

وذكر المقدسي أن وادي جهنم في حدود القدس كان يشتهر بزراعة أشجار الكرمة[3]، وأنّ إحدى قرى القدس عرفت باسم قرية العنب[4] وهذا يشير إلى كثرة أشجار العنب المزروعة في أراضيها مما يؤكد أن أشجار الكرمة كانت منتشرة في كافة أنحاء فلسطين[5].

كما وجد الخروب في فلسطين، حيث كانت ثمارها ضمن السلع التي تصدر إلى الخارج ما يدل إلى كثرتها آنذاك، وتجدر الإشارة إلى أن شجرة الخروب كانت هدية المنطقة الجبلية في القدس والخليل[6].

ويورد الحميري ذِكرَ الحدائق والأشجار في الخليل قرب الحرم الإبراهيمي بقوله: "وحول القبلة التي فيها قبر إبراهيم غياض أشجار تفاح أحمر"[7]، ووصفها القرشي بأنها كانت ملتفة الأشجار كثيرة الثمار[8]. فهي تمتلك ثروة هائلة من الأشجار المثمرة التي زرعت منذ القدم والتي ذكرتها المصادر بأسمائها وأنواعها.

نستنتج مما سبق أن الزراعة في فلسطين بشكل عام وفي القدس والخليل ومناطقهما بشكل خاص كانت عصب الاقتصاد في ذلك الوقت وعليها اعتماد الناس في أرزاقهم ومعيشتهم وتوفير احتياجاتهم، وان هناك

---

[1] المقدسي، ص181.
[2] الاصطخري، ص58.
[3] المقدسي، ص171.
[4] خسرو، ص55
[5] امطير، ص82.
[6] المرجع نفسه، ص87.
[7] الحميري، ص123.
[8] القرشي، ص104

اهتماما واسعا بالزراعة وبتنوع المحاصيل وبنظم الزراعة، كما أن ما ورد في المصادر يدلنا على طبيعة هذه البلاد في الحقب المختلفة من تاريخها والتي اتسمت بالتنوع في مزروعاتها وهذا راجع إلى تنوع تضاريسها ومناخها ما جعلاها جنات من الخضرة والخير والوفرة رغم ما كان يشوبها من ظلم وعسف بعض الولاة والحكام والنواب ورغم الاحتلال الصليبي البغيض الذي كان من أسوأ الحقب التي مرت عليها.

ثانيا: الصناعة

تُعد الصناعة عنصراً رئيساً في اقتصاد البلدان، وقد تطورت كثير من الصناعات التي وجدت في فلسطين قديماً وتم الإضافة إليها واستحداث البعض منها ليتفق مع الحاجة التي ابتكر من أجلها[1]. فقد عرفت الصناعة في فلسطين بشكل عام منذ أيام الكنعانيين الأوائل الذين سكنوها[2] ويعدُّ الموقع الجغرافي المناسب لفلسطين من أبرز العوامل التي ساعدت على انتشار كثير من الصناعات فيها[3]

ويظهر من خلال المصادر ظهور ظاهرة التخصص في الصنعة وهو تجمع أهل كل صنعة في سوق خاصة بهم، فقد ذكر الشيزري الأصل أن "يجعل لأهل كل صنعة منهم سوقا يختص بهم، وتعرف صناعتهم فيه، فإن ذلك لقصدهم أرفق، ولصنائعهم أنفق، ومن كانت صناعته تحتاج إلى وقود نار، كالخباز والطباخ، والحداد"[4]. ونشأة هذا حتى لا تؤثر كل حرفة على أخرى، لأن بعض الحرف تثير الغبار أو الروائح واستخدام النار وهذا لا يستقيم مع حرف الخياطة والصياغة وما شابهها ولذلك اقتضى الفصل وتخصيص الأمكنة لكل صنعة.

ارتبطت معظم الصناعات في فلسطين ارتباطا مباشرا بالإنتاج الزراعي، وبطبيعة فلسطين الغنية بالمزروعات المختلفة، ومن أهم الصناعات التي وجدت في القدس والخليل:

---

[1] البدور، ص79، شلوف والفراني، ص218.

[2] البدور، ص79.

[3] المرجع نفسه، ص79، شلوف والفراني، ص218.

[4] الشيزري، ص61.

طحن الغلال: يعتبر طحن الغلال ضربا من ضروب الصناعة، وقد وجد في فلسطين بسبب انتشار زراعة الحبوب فيها، فقد أشار خسرو إلى طحن الحبوب في الخليل، وإلى وجود الطواحين التي تديرها البغال والثيران لطحن الحبوب وإنتاج الدقيق[1].

وارتبطت المطاحن بالمخابز في كثير من الأحيان حيث تشير المصادر الجغرافية إلى وجود المخابز في مدينة الخليل والتي كانت تطحن القمح وتعجنه وتخبزه على مدى الشهور والأيام والليالي[2].

استخراج الزيت: ينتشر الزيتون في فلسطين بشكل كبير وليس فقط في القدس والخليل، فقد ازدهرت صناعة استخراج الزيت كإحدى الصناعات الغذائية التي يعتمد عليها الفلسطينيون في غذائهم وفي الكثير من الصناعات الأخرى التي تخص حياتهم ومعيشتهم، كما ينظرون إلى الزيت كمنتج مقدس نظرا لذكره في القران الكريم، في قوله تعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥﴾[سورة النور:35]. ويتواجد الزيت في مدينة القدس منذ القدم حيث وردت بعض الإشارات عن ذلك في المصادر منها ما ذكره ابن الفقيه عن سليمان عليه السلام عندما أراد بناء بيت المقدس أنه" أمر أن يجري في كلِّ سنة من البر عشرون ألف كرّ[3]، ومن الزيت عشرون ألف كرّ زيتون"[4].

---

[1] خسرو، ص86، البدور، ص115.

[2] العمري1/ 234.

[3] **الكرّ:** مكيال من مكاييل أهل العراق. الفراهيدي، 277/5.

[4] ابن الفقيه، ص149.

وقد تعددت استخدامات الزيت، فإلى جانب استخدامه في الطعام كان الزيت يستخدم في العلاج وإضاءة مصابيح المسجد الأقصى، حيث كان يخصص له كل شهر مائة قسط[1] زيت[2]. كما وجدت معاصر الزيت في الخليل[3] كغيرها من مدن فلسطين التي تستخرج الزيت.

صناعة الصابون: اعتمدت صناعة الصابون على الزيت والذي يعتبر وفيرا في فلسطين كلها، هذا فضلا عن استخدام الزيت في صناعة الصابون التي استوعبت عدداً لا بأس به من سكان مدينة القدس والمناطق المجاورة لها، وكان الصابون يصدر إلى المدن والبلاد المجاورة مثل يافا، بيت المقدس ومنها يصدر إلى مصر والبلاد المختلفة[4].

صناعة السكر: ازدهرت صناعة السكر في فلسطين، وكانت مصانعه تقام قرب المناطق التي اشتهرت بزراعته وكان عصير السكر يشرب طازجاً، ويدخل المكرر منه في تصنيع شراب الفاكهة فضلا عن الصناعات الغذائية الأخرى كالجبن[5].

وكان قصب السكر يجمع عند تقطيعه إلى قطع طولية، يصل طول القطعة منها ما يساوي نصف نخلة، ثم تحمل إلى المعاصر حيث تعصر ويحصل منه على العصير الذي يتم وضعه في غلايات من النحاس ويستمر غليه حتى يتم تركيزه ثم يوضع في سلال رفيعة مصنوعة من الأغصان ويترك حتى يجف وهكذا يتم الحصول على السكر منه[6].

---

[1] **القسط:** مكيال إسلامي ذو أصل يوناني، يستخدم لتقدير السوائل كالزيت والنبيذ والخل، وسعته1.2158 لترا. شلوف والفراني، ص220.

[2] ابن الفقيه، ص150، المقدسي، ص171، القزويني، ص162.

[3] خسرو، ص73، المقدسي، ص173.

[4] علي، ص199.

[5] شلوف والفراني، ص222.

[6] علي، ص200.

صناعة الشموع: انتشرت صناعة الشموع المستخدمة في الإنارة في فلسطين، وكان في المسجد الأقصى عدد كبير منها[1]، ويذكر خسرو أنه شاهد شمعة كبيرة جدا في مسجد قبة الصخرة طولها سبعة أذرع وقطرها ثلاثة أشبار، لونها كالكافور وشمعها مخلوط بالعنبر"[2].

كان الشمع المقدسي مرغوباً لدى الأجانب والحجاج المسيحيين الذين يأتون لزيارة الأماكن المقدسة المسيحية، حيث يباع منه كميات كبيرة في الأعياد، فمن المعروف أنهم يوقدون كثيراً من الشموع داخل كنيسة القيامة، وعندما يدخلون إليها في الأعياد المسيحية المختلفة، وربما وجد منهم من كان يأخذ بعض الشموع تبركا لأنَّها صنعت في بيت المقدس أو لإشعالها في كنائسهم عقب عودتهم[3].

قطع الأحجار: وجدت الكثير من المحاجر في بيت المقدس، ويذكر أن تلك المحاجر كانت موجودة في المدينة والمناطق المحيطة بها، وبخاصة جبل صهيون[4]، وفي فترة الاحتلال الصليبي كان الصليبيون يهدمون قبور المسلمين ويستخدمون حجارتها لبناء بيوتهم[5]، حتى أسوار القدس لم تسلم منهم فكانوا يقتلعون حجارتها لأعمال الترميم لكنائسهم، ويؤكد بنيامين التطيلي الذي زارها سنة(558هـ/1163م) في حديثه عن مقابر أسرة داوود والملوك الذين حكموا بعدهم، أنه عند زيارته للمدينة كان قد تهدم بعضها وكذلك بعض أماكن العبادة الأخرى، فأمر بطريرك المدينة حين ذاك أحد رجال الدين بالإشراف على ترميمها والذي قام باستئجار عشرين عاملا نظير أجر محدد وقاموا باقتلاع الحجارة من أسوار صهيون[6].

---

[1] خسرو، ص180.

[2] المصدر نفسه، ص67.

[3] علي، ص199.

[4] **بنيامين التطيلي:** عالم ورحّالة يهودي أسباني توفي في سنة (1173م/569هـ). التطيلي، ص4-5

[5] التطيلي، ص254.

[6] المصدر نفسه، ص254.

وتؤكد لنا المصادر الإسلامية وجود تلك المحاجر وبخاصة عندما فتح صلاح الدين الأيوبي المدينة، وأمر بعمارة سور المدينة فقد كان يركب بنفسه ويأتي بتلك الحجارة، وقد تأسى به عدد كبير من الناس من فقراء وأغنياء ورجال العلم[1].

وكان يستخرج من تلك المحاجر أنواع كثيرة من الحجارة ذات الألوان المختلفة، فحجارة القدس معروفة من أحسن الحجارة وأجملها وأثرها قوة، ولا سيما النوع المعروف بالحجر المزى الصلب ومن اللون الأحمر. ويشير بعض الرحالة إلى تلك المحاجر التي شاهدها في وادي القدرون الواقع ما بين جبلي موريا والزيتون كان بها الأحجار الضخمة التي تستخدم في بناء منازل القدس ويبدو أن العمال كانوا يجدون مشقة في قطع الأحجار نظراً لضخامتها[2].

وتشير بعض المراجع إلى كثرة المحاجر وأنواع الأحجار وطريقة تقطيعها، بحيث أن كثيرا منها يقع على مقربة من سور مدينة القدس والبعض الآخر تحت المنحدرات المحيطة بالمدينة، وفيها يقوم العمال بقطع الأحجار إلى كتل ضخمة ثم إلى قطع صغيرة بحسب الأحجام المطلوبة، كما يقومون بتهذيبها حتّى تتلاءم مع الاستخدامات المطلوبة من أجلها، إضافة إلى تميزها بخاصية مقاومة تأثير المياه والرطوبة، مما ساعد على ان تحتفظ مباني بيت المقدس بحال لونها وأشكالها عبر الأزمنة الطويلة[3].

وكانت مقالع الرخام موجودة في بيت جبرين[4] وقيسارية، وقد شاهد خسرو ذلك في زيارته لمدينة القدس ووصفه بقوله "وفي هذه المدينة رخام كثير وقد زينت معظم السرايات والبيوت بالرخام المنقوش الكثير الزينة"[5] وكان يتم قطع الرخام بمنشار لا أسنان له ويعملون المنشار على أعمدة الرخام بالطول لا بالعرض فيخرجون

[1] السيد، ص198.
[2] السيد، ص198.
[3] المرجع نفسه، ص198.
[4] المقدسي، ص225.
[5] خسرو، ص54.

منه ألواحا كألواح الخشب"[1] وكان هذا الرخام ذا أنواع كثير فمنها الملمع والأخضر والأحمر والأسود والأبيض ومن كل لون"[2].

وقد كانت استعمالات الرخام متعددة ومتنوعة لا تختلف كثيرا عما هو في وقتنا المعاصر، وبالأخص في دور العبادة، حيث تذكر المصادر أنه استعمل في المسجد الكثير من الرخام الملون والذي شمل الساحات والأروقة والأعمدة[3] والتي بلغت سبعمائة عمود رخام[4] حتى أن أرضياته فرشت بالرخام[5]، وقد ذكر خسرو إلى أن قبة الصخرة "محمولة على رأس ثمانية أعمدة من الرخام وست دعائم من الحجر ومثلها قبة جبريل –عليه السلام– وقبة الرسول –صلى الله عليه وسلم–[6].

ونستطيع القول أن فلسطين بلغت درجة كبيرة وعالية في استخدام الرخام في تلك الحقب مما يدل على ان المستوى الاقتصادي فيها كان مرتفعا لأن الرخام يعتبر من الصناعات الكبيرة في ذلك الوقت والتي تحتاج أموالا هائلا وأعمالا مضنية.

الصناعات المعدنية: عرفت القدس بعض الصناعات المعدنية كصناعة الإبر والمرايا وقدور القناديل، وهذا ما أشار له المقدسي في قوله: "يرتفع من فلسطين... المرايا وقدور القناديل والإبر"[7]، وهذا دليل على الدقة والإتقان عند أهل القدس الذين كانوا يصنعون أيضا قدور القناديل[8]، وقد استخدم الحديد أيضا في صناعة الأبواب الحديدية والتي كانت غاية في الأهمية في ذلك الوقت نظرا لاستخدامها من أجل بوابات المدن

[1] خسرو، ص54.
[2] المصدر نفسه، ص54.
[3] المدر نفسه، ص62.
[4] المقدسي، ص171.
[5] ابن كثير، 309/8.
[6] خسرو، ص68.
[7] المقدسي، ص180.
[8] المصدر نفسه، ص180، البدور، ص115.

المحاطة بالأسوار، ومعروف أن مدينة القدس محاطة بسور له عدة أبواب، وذكرت المصادر أنَّ "لها ثمانية أبواب حديد[1]. وكذلك كان لمغارة المسجد الإبراهيمي "باب صغير من الحديد"[2].

وكان الحديد يستخدم مع النحاس في تزيين الأبواب وزخرفتها، فد ذكر خسرو أن في المسجد الأقصى رواق" به ثلاثة أبواب متجاورة في حجم باب الأسباط وكلها مزينة بزخارف من الحديد والنحاس، قَلَّ ما هو أجمل منها"[3]، ويضيف في حديثه عن المسجد الأقصى "أنه عند الحائط الشرقي وسط الجامع رواق عظيم الزخرف له بابان جميلان عليهما زخارف كثيرة من الحديد والنحاس الدمشقي وقد دق عليهما الحلق والمسامير"[4].

كذلك أبدع أهل فلسطين وخاصة في القدس والخليل في صناعة المصابيح الفض، والتي كان يتم تعليقها في المساجد ودور العبادة، فقد أشارت المصادر إلى المصابيح الفضية التي كانت معلقة في مسجد الخليل[5]، والمسجد الأقصى[6]، أما قبة الصخرة فقد كان فيها قنديل من الفضة معلق بسلسلة فوق الصخرة وقد كتب عليها وزنها[7].

وكانت سقوف القباب وأسطح المساجد وخاصة المسجد الأقصى مصفحة بالرصاص[8]، وهذا دليل على رواج تلك الصناعة في ذلك الوقت.

الصناعات الخشبية: تتميز الأخشاب في فلسطين بوفرتها، ما يعني توفر الخامات الخاصة بالصناعات الخشبية بأنواعها المختلفة، فقد ذكرت المصادر التاريخية أنواعا مختلفة من الأخشاب التي وجدت في فلسطين،

---

[1] المقدسي، ص167، الحموي، 169/5.
[2] خسرو، ص74.
[3] المصدر نفسه، ص59.
[4] المصدر نفسه، ص60.
[5] المصدر نفسه، ص73.
[6] المنهاجي، 140/1.
[7] خسرو، ص67.
[8] المصدر نفسه، ص67.

أهمها خشب الساج[1]، والأبنوس[2]، والجميز[3]، والتنوب[4] إضافة إلى خشب الزيتون[5].

وللأخشاب استخدامات متنوعة أهمَّها صناعة الأبواب للبيوت والمساجد وغيرها، فقد ذكرت المصادر أن لقبة الصخرة أربعة أبواب من الخشب مرصعة ومذهبة[6].

وارتبطت بعض الصناعات الخشبية بمراسم الحج المسيحية، حيث تتدفق أعداد كبيرة من الحجاج الغربيين على المدينة ومن هذه الصناعات الحفر على خشب الزيتون، حيث كان لدى أبناء القدس مهارة كبيرة فيها أتقنوها على مر الزمان، فكانوا يحفرون على خشب الزيتون أشكالا متنوعة وبإتقان عجيب، إضافة إلى صناعة أدوات الكتابة ولعب الأطفال وأدوات الزينة والهدايا ذات الرموز الدينية التي تستهوي كثيرا من الغربيين، وتلقى رواجا في اقتنائها، ومن المرجح أنه قد تخصص في صنعها المسيحيون المحليون من الطوائف المختلفة المقيمة في مدينة القدس[7].

ثالثا: التجارة

تُعدُّ التجارة عنصرا رئيسا ومهمّا من عناصر الاقتصاد عند الأمم والشعوب، وهي من عناصر التأثير والتأثر الحضاري بين الأمم والشعوب، وهي على نوعين:

التجارة الخارجيَّة والداخليّة: التجارة الخارجيةَّ تكون بين القطر والأقطار الأخرى، والداخلية في القطر الواحد بين قراه ومدنه وحواضره وبواديه، وينطبق الأمر على فلسطين منذ أقدم العصور منذ أيام الكنعانيين الأوائل الذين كانت لهم علاقات تجارية مع الشعوب المجاورة لهم، وسنبين ذلك بالتفصيل.

---

[1] خسرو، ص67. **والساج:** ضرب من الخشب يؤتى به من بلاد الهند. عياض، 232/2.

[2] **الأبنوس:** شجر ينبت في الحبشة والهند خشبه أسود صلب ويصنع منه بعض الأدوات والأواني والأثاث. المعجم الوسيط، 1/1.

[3] المقدسي، ص174.

[4] **التنوب:** جنس شجر من فصيلة الصنوبريات. شلوف والفراني، ص228.

[5] خسرو، ص55، الاصطخري، ص85، البكري، 466/1.

[6] المقدسي، ص169، الحموي، 170/5.

[7] علي، ص199.

التجارة الخارجية: مارس سكان فلسطين التجارة قديما منذ الكنعانيين الأوائل، حيث كانت لهم علاقاتهم التجارية مع المجاورين لهم من الأمم والشعوب، فعلى سبيل المثال ومع إطلالة القرن العشرين قبل الميلاد كانت التجارة بين الكنعانيين والمصريين قد وصلت أوجها مخترقة الطرق البرية والبحرية[1]، وهذا دليل على قدم النشاط التجاري في فلسطين نظرا لموقعها المتوسط بين الشرق والغرب، ودليل أيضا على الحضارة فيها والتي تمثلت بحضارة الكنعانيين الأوائل أصحاب هذه البلاد.

لقد كَوَّنَ الكنعانيون والمصريون أول طريق تجاري في العالم مارا من شرق الدلتا باتجاه شمال سيناء بالقرب من ساحل البحر وصولا لمدينة غزة مواصلا رحلته شمالا من السهل الساحلي الفلسطيني ومنها إلى سوريا حتى العراق ليتفرع منها طرقا عدة فيما بعد تتواءم مع حجم التجارة المتزايدة بينهم كمًّا وكيفًّا[2].

وكانت مدينتهم يبوس ذات أهمية من الناحية التجارية، واقعة على طريقين من أهم طرق التجارة: واحدة تربط البحر بالصحراء والأخرى تربط حبرون ببيت أيل[3]، وفي بيت أيل كانت الطريق تسير في اتجاهين واحد نحو شكيم[4] والآخر نحو أريحا وواد الاردن[5].

كان الشعب العربي في فلسطين على علاقات تجارية مستمرة مع العالم الخارجي خاصة فيما وراء البحر وفي مقدمتهم اليونان، كذلك سيطرت التجارة العربية والقادمة من جنوب الجزيرة العربية محملة بالتوابل والعطور والبخور على الأجزاء الجنوبية من فلسطين[6]. وهذا ضمن لفلسطين تنوع المنتجات والبضائع المختلفة.

---

[1] المبيض، ص9.

[2] المرجع نفسه، ص9.

[3] **بيت ايل:** ويقصد بها بيتين من أعمال رام الله. العارف، الفصل في تاريخ القدس، ص3. وقيل أن بيت ايل مدينة على بعد أحد عشر ميلا من أورشليم إلى الشمال، وهو بلد كان اسمه عند الفلسطينيين «لوزا» فسماه يعقوب: بيت إيل. المقريزي، 197/8.

[4] **شكيم:** وهو من أسماء مدينة نابلس. العارف، ص12.

[5] العارف، ص12.

[6] المبيض، ص32.

فصدروا لمصر الأقمشة المصنوعة ذات الألوان الأرجوانية المطرزة والزيتون وزيته والعسل والعنب والخمور والزفت في حين استوردوا من مصر الكتان والفراء، حيث غمرت أسواق المدن الكنعانية في فلسطين من غزة وعسقلان جنوبا حتى أقصى المدن الشمالية [1]، كما كانت المنتجات الزراعية تحمل من فلسطين بما فيها الخليل إلى مصر [2].

وعند وقوع فلسطين تحت سيادة الدولة الإسلامية بعد فتح بيت المقدس وباقي المدن الفلسطينية ولأن العلاقات التجارية بين دول البحر المتوسط وبين دول شرق آسيا قديمة ورائجة فقد استمر هذا النشاط التجاري وتطور بعد توسع الدولة العربية الإسلامية والتي كانت فلسطين جزءا منها، حيث كان الحرير من الموارد الرئيسية التي تنقل إلى سواحل بلاد الشام حيث يعالج هناك بالأصبغة المختلفة ليصبح صالحا للاستعمال ثم يطرح في الأسواق الخارجية[3].

كانت بيت المقدس والخليل تشاركان في الحراك التجاري في تلك الفترة، فكانت الفواكه تحمل من الخليل إلى مصر [4] على سبيل المثال، أما بيت المقدس وبسبب أهمّيّتها الدينيّة فقد انعكس هذا ايجابيا على النشاط التجاري فيها[5]، نظرا للزوار الذين يأتونها باستمرار من داخل فلسطين ومن خارجها والذي يساهمون في النشاط التجاري فيها بيعا وشراء، وقد أشارت المصادر التاريخية إلى أن عبد الملك بن مروان أمر ببناء طريق رئيسي يربط دمشق والقدس وهذا دليل آخر على أهميتها عند الأمويين إضافة إلى دور الطرق في تسهيل المواصلات وبالتالي الحركة التجارية من المدينة وإليها.

---

[1] المرجع نفسه، ص9.

[2] المقدسي، ص172

[3] البدو، ص123.

[4] المقدسي، ص172.

[5] البدور، ص123.

انطلق التجار الفلسطينيون برا إلى الجنوب عبر طريق بيت المقدس–أيلة[1]، أو بيت المقدس –دمشق– البصرة[2]، ومن أيلة والبصرة ينطلقون عبر البحر إلى الهند والصين أو إلى مكة واليمن[3].

واستورد التجار المقادسة كثيرا من السلع الاستهلاكية مثل البن والأرز والعدس والفول إضافة إلى الأقمشة الحريرية واللؤلؤ وكل ذلك كان عادة ما يتم عن طريق مصر أو دمشق، إضافة إلى اشتغال بعضهم بتصدير زيت الزيتون والصابون الفاخر المصنَّع في بيت المقدس وكان يصدر إلى مصر عبر ميناء يافا أو عن طريق القوافل الذي كان يربط بين مصر وبيت المقدس عبر صحراء سيناء ماراً بغزة والخليل وبيت لحم[4].

ونستنتج مما سبق أن مدينتي القدس والخليل لم تكونا في يوم من الايام بمعزل عن الحركة التجارية في فلسطين داخليا وخارجيا، بل شاركتا فيه بكل قوة، لأن موقعهما ومكانتهما كانا له دور كبير في ذلك.

وبسبب الأهمية الدينية للمدينتين، فقد استقطبت القدس الحجاج والحجاج المسيحيين الاوروبيين الذي كانوا يتاجرون خلال رحلاتهم تلك، مما ساعد في رواج البضائع الخليلية والمقدسية في كل مكان يصل اليه أولئك التجار.

وقد استقدمت الأهمية الاقتصادية لهذه البلاد مجموعة كبيرة من الأوروبيين، وخصوصا من المدن الايطالية كجنوة وبيزا والبندقية التي بذلت المستحيل للحصول على امتيازات وعقارات وموانئ في الأراضي المقدسة اثناء الهجمة الصليبية الشرسه التي تعرضت لها المنطقة في العصور الوسطى، ولعل حصول المدن التجارية الايطالية على إمتيازات في الأراضي المقدسة سيتيح لها التحكم بالطرق التجارية بين الشرق والغرب، وتسهيل عملية التبادل التجاري بين قارات العالم القديم، وفضلا عن ذلك تصدير منتجات الأراضي المقدسة (مثل السكر والنبيذ المقدس والرمان... الخ) إلى الاسواق التجارية في مختلف مدن أوروبا[5].

---

[1] **أيلة:** مدينة على ساحل بحر القلزم (البحر الاحمر) مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام، وكانت مدينة صغيرة عامرة بها زرع يسير، وهي المدينة التي حرّم الله على اليهود صيد السمك يوم السبت فيها فخالفوا فمسخوا قردة وخنازير. الحموي، 292/1.

[2] **البصرة:** من مدن العراق، بنيت في عهد عمر بن الخطاب سنة 14هـ/653م. المنجم، ص39.

[3] البدور، ص147.

[4] علي، ص203.

[5] فورزبورغ، ص11.

وكان الحجاج المسيحيون الغربيون يشترون السلع الشرقية ويصحبونها معهم في رحلة العودة إلى بلادهم بعد زيارة الأراضي المقدسة، ومن هذه السلع المسابح المصنوعة من أخشاب الزيتون أو المصنوعة من العاج، والحلى الصغيرة كالخواتم والأقراط "التي تم صنعها في القدس"[1].

وقد أشار الرحالة ابن جبير الذي زار بلاد المشرق عام /1184 580م أثناء الاحتلال الصليبي إلى ذلك بقوله "واختلاف القوافل إلى دمشق على بلاد الفرنج غير منقطع، واختلاف المسلمين من دمشق إلى عكا كذلك"[2]، ويتضح من حديث ابن جبير أن الحركة التجارية لم تنقطع بين المسلمين والصليبيين على الرغم من استمرار الحروب بين الطرفين وكان التجار النصارى يؤدون الضرائب أثناء عبورهم للبلاد الخاضعة للسيطرة الإسلامية كذلك الحال بالنسبة للتجار المسلمين الذين يعبرون الأراضي الخاضعة للسيطرة الصليبية، وكان الاتفاق بينهم على هذا الأساس في جميع الأحوال[3]

التجارة الداخلية: عمل أهل القدس في تجارة الحاصلات الزراعية من زيتون وقصب السكر والكروم والنبيذ والقمح والشعير إلى جانب بعض الصناعات التي سبق الحديث عنها في الصناعة في المدينة، وكذلك بعض مواد البناء اللازمة للعمارة، وكان كثير من بدو أهل بيت المقدس، يؤجِّرون دوابهم للحجاج المسيحيين، الذين حملوا معهم من يافا الحقائب المليئة بالمتاجر لبيعها في بيت المقدس كبعض أنواع التوابل، وكان بعضهم يأتي بكميات الأسماك من يافا –والتي كانت تعتبر ميناء بيت المقدس– لبيعها داخل المدينة في السوق المخصصة لها، وبعضهم كان يتاجر في الأعشاب النباتية والعقاقير الطبية والبعض منهم يشتغلون بتجارة الحرير[4].

---

[1] علي، ص203.

[2] ابن جبير، ص235.

[3] المصدر نفسه، 260–261

[4] علي، السيد، القدس في العصر المملوكي، ص202.

وكان في القدس سوقا للزيت" يعد من الأسواق الرئيسة في مدينة القدس، حيث اختص ببيع زيت الزيتون وتزويد المصابن التي كانت منتشرة في تلك الفترة بما تحتاجه من الزيت الذي كانوا يحصلون عليه من القدس ونابلس نظراً لكثرة زراعته في الجبال والسهول المحيطة بالمدينتين"[1].

ولعبت للقرى المحيطة بالقدس دورا في إنعاش الحركة التجارية فيها، حيث جلب القرويون مقادير وافرة من الحبوب وجميع أنواع البقول إلى المدينة المقدسة، دون تحصيل أية ضريبة منهم فضلاً عن قيام القرويين في قرية تورخو[2] بجلب الزبيب إلى بيت المقدس لتزويد سكانها به[3]. إضافة إلى الاعشاب والفواكه والسمك والجبن والفراخ والبيض إضافة إلى تجارة الذهب والتي كان يمارسها التجار السوريون[4]

كذلك كان اليهود يعملون في الصياغة، فقد ذكر أن الممتاز من الصياغة كان يبيعه يهود بيت المقدس إلى الملك الصليبي أثناء الاحتلال الصليبي لها[5].

رابعا: العملة

كان البيع والشراء قديما يجري مقايضة قبل أن تكون النقود معروفة[6] ثم استخدمها الإنسان لسهولة حفظها مدة أطول وإمكانية تجزئتها إلى فئات عديدة تناسب متطلباته، وبالرغم من اتفاق الناس على أهمية استخدام النقود إلا أنهم اختلفوا في تشكيلها وأوزانها[7]، وذلك راجع ربما لاختلاف الثقافات والعادات وطرق الوزن والقياس وطبيعة السلع والمنتجات، إضافة إلى اختلاف الناس في تراثهم وطبيعة اقتصادهم.

---

[1] الحنبلي، 2/53-54

[2] **تورخو**: قرية سريانية، موقعها غير معروف، ويبدوا أنها دمرت. امطير، ص26.

[3] امطير، ص26.

[4] زايد، ص217.

[5] المرجع نفسه، ص217.

[6] الكرملي، ص87، الحسيني، ص4.

[7] المبيض، ص12.

عرفت فلسطين النقود الإسلامية بادئ ذي بدء عندما قام خالد بن الوليد بسك النقود على أرضها وبالذات في مدينة طبريا سنة (15) أو(16) هجرية جعلها من طراز الدنانير البيزنطية بحيث ترك الصليب والتاج والصولجان على حاله وكتب على أحد وجهي النقد: خالد بالحروف اليونانية (XAAED) ومعها الأحرف(IY"BOU") كما ظهر على الوجه الآخر حرف(M) للدلالة على قيمة الفلس[1].

كما ظهرت في القدس وغيرها من المدن التي تسَّكُّ فيها النقود بعض العبارات التي تدل على بدايات استقلال النقد العربي في صدر الإسلام مثل لفظ (طيب) أو (جائز) أو (واف) رغم استمرار صور هرقل على تلك العملة[2].

قام الخليفة العباسي المأمون بن الرشيد بكتابة اسم القدس على النقود لأول مرة بدلا من اسمها القديم إيلياء، وقد كانت القدس ضمن مدن ضرب النقود في العصر العباسي وهي عكا وطبريا والرملة وغزة[3].

أجرى الفاطميون تغييرات على النقود وأبطلوا بعض القطع النقدية التي كانت سائدة قبلهم[4] وقد انطبعت نقودهم بالصبغة الشيعية فأصبحنا نرى على النقود عبارات مثل "علي ولي الله" و"علي صفوة الله" و"علي أفضل الوصيين ووزير خير المرسلين" وغيرها من المأثورات الشيعية الشبيهة بذلك[5].

كما وجدت في فلسطين الفلوس والدراهم ويظهر من خلال المصادر أن الفلوس كانت تستخدم للإنفاق على المدارس والأيتام والفقراء[6]، وقد ذكر ابن الهائم أن التعامل في العهد المملوكي كان بالفلوس العددية[7]، وكانت

---

[1] الكرملي، ص91، المبيض، ص139، الحسيني، ص47.

[2] الحسيني، ص42، العش، ص17.

[3] المبيض، ص157.

[4] المقدسي، ص204.

[5] المبيض، ص173.

[6] المقريزي، 231/4.

[7] **الفلوس العددية:** النقود نوعان ما يتعامل به وزنا، وما يتعامل به معادَدَةً، والفلوس جمع فلس، واصلها أفلس، وهذه تعريب من اليونانية، وهو نقد أثيني، وذهب بعضهم أن الفلس تعريب اليونانية أو الرومية. الكرملي، ص67-68.

هذه الفلوس آنذاك نوعا واحدا كل ثمانين فلسا منها بدرهم، وكل حبة[1] خمس أفلس لأن الحبَّة عبارة عن نصف ثمن الدرهم[2]، ثم غيرها بعض نواب القدس فجعل الحبة ستة أفلس والدرهم ستة وتسعين فلسا[3].

[1] **الحبة:** المقصود بها اصطلاحا حبة الشعير على الرغم من الروايات الكثيرة عن وزن الحبة وهي تساوي (0.5) غرام والحبة تساوي أربع أرزات، والحبة تساوي حبتين من الشعير. الكرملي، ص28.

[2] **الدرهم:** تعني النقود عامّة وهي من وحدات السك الإسلامية الفضية، اشتق اسمها من الكلمة اليونانية دراخمة، ويقول بعضهم أن الكلمة عربت من الفارسية وربما كانت تلفظ درهام وهو يساوي ستة دوانق، ابن الهائم، نزهة النفوس، ص37؛ المناوي، ص35.

[3] ابن الهائم، ص38.

الفصل الرابع

الأوضاع الثقافية والاجتماعية

أولا: الأوضاع الثقافية

القدس والخليل مدينتان مرتبطتان ارتباطا وثيقا بالخلفية الفكرية والدينية والتاريخية للعرب وللمسلمين، فالقدس مسرى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وفيها أولى القبلتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين الشريفين وهي معراج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى السماء؛ أمَّا مدينة الخليل فقد ارتبطت بذكرى الأنبياء من زمن بعيد حيث سكنها إبراهيم الخليل عليه السلام وذريته من بعده الذين جاءوا بدعوة الإسلام.

وهناك كثير من مظاهر ازدهار الحركة العلمية والثقافية في كل من القدس والخليل والتي تتمثل في المساجد والزوايا والأربطة والمدارس والعلماء والتي كانت رافدا من ابرز روافد العلم والفكر في هاتين المدينتين، وهذه المظاهر هي:

المساجد

تضم مدينتا القدس والخليل عددا من المساجد التي بنيت في فترات زمنية مختلفة، والتي لعبت دورا كبيرا في تثبيت الإرث الحضاري العربي الإسلامي في هاتين المدينتين. فقد اهتم حكام المسلمين خلال فترات حكمهم اهتماما كبيرا بالمساجد وبنائها والمحافظة عليها ورعايتها خاصَّة المسجد الأقصى والمسجد الإبراهيمي وربطوهما في العصر المملوكي بناظر الحرمين الشريفين[1]

كانت المساجد مراكز لتلقي العلوم الشرعية على يد الشيوخ الذين كانوا يلقون دروسهم في المساجد وحولهم طلبة العلم، يقومون بتدريس علوم القرآن والحديث والفقه وغيرها من العلوم الدينية.

[1] الحنبلي، 97/2.

لعب المسجد الأقصى إضافة إلى أهميته الدينية دورا تعليميا عظيما، حيث كان مركزا لتلقي العلوم الشرعية فعقدت الحلقات التعليمية في أروقته وساحاته، وقد اهتم الخلفاء والسلاطين المسلمون اهتماما كبيرا به وبمرافقه، وقد بنوا به أبنية غاية في الزخرف وفرش بالسجاد الفاخر ويقوم عليه خدم مخصصون يعملون به دواما[1].

واهتمام خلفاء المسلمين وسلاطينهم بالمسجد الأقصى نابع من كونه المسجد الذي أسرى الله عز وجل بالمصطفى صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من مكة إليه ومنه صعد إلى السماء كما جاء في القرآن ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ١﴾[الإسراء:1]

وقد كان المسجد الأقصى منارة إشعاع علمي حيث عقدت فيه حلقات التدريس للحديث الشريف وأخرى لقراءة القران، وتعد العلوم المرتبطة بالقران الكريم والحديث الشريف من المحاور الرئيسية التي قام عليها التعليم فيه بالإضافة إلى علوم اللغة من نحو وصرف وأدب[2].

أما مسجد قبة الصخرة فكان التدريس فيه يتم كل أيام الأسبوع حيث استقطب كثيرا من طلاب العلم والعلماء، وعمل العلماء على نشر التوعية الدينية وإلقاء الدروس في شتى أنواع العلوم الدينية لطلاب العلم، حيث كان يصرف لهم من مال وقف المسجد بشرط ملازمة الاشتغال في أيام الدرس المعتادة في المسجد[3].

أما المسجد الإبراهيمي فنال اهتمام الخلفاء المسلمين منذ الفتح الإسلامي لمدينة الخليل لأهميته الدينية المرتبطة بوجود قبر سيدنا إبراهيم الخليل وذريته عليهم السلام، فقام الخلفاء على مر العصور الإسلامية المتتالية بترميمه وإصلاحه؛ ليكون مركزاً تعليمياً مهما يأتي إليه العلماء والفقهاء والشيوخ وطلاب العلم والحجاج من جميع أنحاء البلاد الإسلامية[4].

---

[1] خسرو، ص61.

[2] ناجي، ص108و109.

[3] الحنبلي، الأنس الجليل، 260/2.

[4] شراب، ص43، جبارة، ص47.

ففي الوقت الذي استتب الأمر في فلسطين للعرب والمسلمين، ازدهرت في مدينة الخليل الدراسات المرتبطة بالدين الإسلامي واللغة العربية وعلومهما، وذلك بدايةً بحلقات التدريس التي كانت تعقد في رحاب الحرم الإبراهيمي الشريف، ثم الزوايا والكتاتيب والمدارس التي تذكرها المصادر المختلفة، والتي كانت منتشرة في أنحاء المدينة حول الحرم الإبراهيمي الشريف[1].

تطورت الحركة العلمية في المسجد الإبراهيمي بقدوم كثير من العلماء وطلاب العلم والرحالة، ومن أهم الرحالة الزائرين للمسجد خلال العصر العباسي ابن خرداذبة (ت280هـ/893م)، الذي وصف المسجد من خلال كتابه المسالك والممالك[2]، كذلك الاصطخري (ت346هـ /957م) في كتابه مسالك الممالك[3].

وقد زار المسجد أيضا خلال العصر الفاطمي الرحالة ابن حوقل(ت367هـ/977م)، ووصفه في كتاب صورة الأرض[4]، وكذلك الرحالة المقدسي (ت381هـ/-976م)، الذي وصف المسجد وذكر أن حول المسجد دوراً للزوار، وهذا دليلٌ على وجود عدد كبير من الزوار يأتون للخليل ويبنون البيوت حول المسجد للتبرك أو الدراسة[5].

كما زار الرحالة ناصر خسرو الخليل ووصف مسجدها وذكر أن عدد الزوار إلى الخليل بلغ أحياناً خمسمائة وهذا يؤكد أن أعدادا كبيرة من الزوار يأتون للخليل إما للتبرك بالأنبياء المدفونين بالمسجد، وإما لتلقي العلوم الشرعية على أيدي شيوخه[6]، ومن خلال زيارات العلماء والرحالة المتواصلة للمسجد ندرك بأنه كان من أهم منابر العلم في العصور الإسلامية المتتالية.

---

[1] عمرو، ص49.

[2] ابن خرداذبه، ص79

[3] الاصطخري، ص78.

[4] ابن حوقل، ص135.

[5] المقدسي، ص172.

[6] خسرو، ص88.

وكان كثير من العلماء والفضلاء والرحالين يطيب لهم المقام في الخليل فيستقر فيها زمنا حبًا منه في مجاورة الأنبياء، أو جلوسًا للتدريس وتلقِّي العلوم في رحاب المدينة المقدسة [1].

وقد كان لوجود وسائل الإقامة في المدينة كالزوايا والأربطة إضافة إلى سماط إبراهيم الخليلة أثرا طيبا في استقطاب العلماء والزهاد والمتصوِّفة المسلمين للإقامة بجوار الحضرة الخليلية الشريفة عبر السنين، وهذا كان من أسباب اتشاح المدينة بثوب العفاف والزهد في الدنيا والتمسك بزمام الدين عبر العصور المختلفة مما تتصف به إلى أيام عصرنا هذا[2].

الزوايا والأربطة

والزوايا أصلها من زوى بمعنى انعزل ومفردها زاوية، وزويت الشيء إذ جمعته وقبضته[3]، وجاء في دائرة المعارف الإسلامية أن الزاوية: هي ركن البناء، وأطلقت على المسجد الصغير، أو على المصلى، وهي مدرسة دينية، ودار مجانية للضيافة[4].

كان بعض الزهاد يعتكف في بيته أو في إحدى زوايا المسجد ثم يتبع له مجموعة من الطلاب، ومع مرور الوقت تصبح مقرا للشيخ ومريديه، حيث كانت الزوايا مكانا لإقامة شعائر الإسلام المتمثلة بالصوم الصلاة والتهجد والتأمل والذكر والاستغراق وإقامة الأوراد والانقطاع لعبادة الله[5].

تتشابه الزوايا مع الأربطة إلا أنها أصغر حجما منها وكانت تبنى بعيدا عن الأماكن المعمورة، وكان الأمراء في كثير من الأوقات يتنافسون في بنائها[6] وربما كان هذا منهم طلبا للأجر من الله أو للسمعة والمكانة الاجتماعية.

---

[1] عمرو، ص50.

[2] المرجع نفسه، ص51.

[3] الفارابي، 2369/6، الرازي، ص139.

[4] بروفنسال، 5239/17.

[5] العسلي، ص308، النقر، محمد، ص192.

[6] ابن بطوطة، ج1/ 204.

وتعد الفترة المملوكية العصر الذهبي لتطور الحركة الصوفية وبناء الزوايا، حيث انتشرت الزوايا بكثرة في فلسطين بشكل عام وفي مدينة القدس بشكل خاص وقد شملها سلاطين المماليك بالرعاية والاهتمام ووقفوا لها الأوقاف، وكان لشيوخ الزوايا مكانة خاصة سواء عند الحكام أو عند العامَّة من النَّاس[1].

أثرت الزوايا في الحياة العلمية والفكرية في القدس والخليل خاصة في فترة الحكم المملوكي، رغم صغر حجمها وعدم أتساعها لأعداد من الزهاد، إلاّ أنها قامت بدور تعليمي مهم، من خلال عقد شيوخ الزاوية لمجالس العلم، التي تعطى الدروس فيها على شكل حلقات، يشرح شيخ الزاوية فيها علوم الدين والتعبد، وتقام فيها حلقات الأذكار والأدعية، وفيها يدرَّس فيها علم القراءات، والتفسير والحديث واللغة، وخصصت حلقات لحفظ القرآن الكريم ووجد فيها مصلى لأداء الصلوات، عدا عن ذلك فقد كانت الزاوية مركزاً لإيواء كثير من طلاب العلم الذين يترددون على زيارتها، كما كانت دار ضيافة للحجاج والواردين للمدينة والمحتاجين من داخل المدينة، ومركزاً لإطعام من يأتي محتاجاً مقطوعا.

ومن أبرز الزوايا في مدينتي القدس والخليل والتي ساهمت في صياغة الثقافة المجتمعية آنذاك ولعبت دورا كبيرا في المحافظة على الطابع الديني للمدينة، والتي تدل دلالة واضحة على اهتمامٍ عظيم بالعلم والعلماء والمتعبدين: الزاوية الناصرية[2]، والزاوية الختنية[3] والمسماة زاوية المسجد الأقصى[4]، إضافة إلى الزاوية

---

[1] أبو لاوي، ص62.

[2] **الزاوية الناصرية:** تقع في أعلى باب الرحمة وتنسب للشيخ نصر بن إبراهيم بن داوود المقدسي النابلسي(ت490هـ/1097م)، وعرفت بالزاوية الغزالية نسبة لأبي حامد الغزالي، لاعتكافه فيها وبها ألف كتابه "إحياء علوم الدين" وكتب فيها كذلك الرسالة القدسية في قواعد العقائد، وهي شرح مبسَّط للعقيدة الإسلامية. الحنبلي، 28/2. **نصر بن إبراهيم المقدسي**،ولد عام (410هـ/1020م)، زاهد عالم عابد أقام في الزاوية ودرَّس العلم فيها، نبغ في علم الحديث، صنف العديد من المصنفات منها التهذيب والتقريب والمقصود والكافي، تولى منصب شيخ الشافعية بالشام، وتوفي عام(490هـ/1097م). ابن عساكر، 15/6-16، الذهبي، 363/2، الحنبلي، الأنس الجليل، 28/2، ابن العماد، 396/5-397.

[3] **الزاوية الختنية:** تقع بالقرب من الجامع القبلي خلف منبر نور الدين زنكي(ت 569هـ/1174م) وُقِفَت من قبل السلطان صلاح الدين الأيوبي (ت589هـ/1193م) لجلال الدين محمد بن أحمد بن محمد الشاشيّ الذي اتصف بالزهد والعبادة والجهاد في سبيل الله. وجاء أصل تسميتها نسبة إلى أحد شيوخها وهو يوسف بن عمر بن حسين بن أبي بكر (731هـ/13331م) وكان يدعى الختنيّ ولد عام(645هـ/1248م) من مشاهير المتصوفة وشيوخها، كان يتقاضى أجرا على التسميع، توفي عام(731هـ/1331م). ابن حجر، 239/6-240، الغزي، 221/1، الحنبلي، 34/2، العارف، 1/ 236، أبو لاوي، ص65.

[4] ابن بطوطة، 180/4.

الجراحيَّة[1]، وزاوية الدركاه[2]، وزاوية عمر المجرد[3]، وزاوية إبراهيم الهدمة[4]، والزاوية الأدهمية[5]، وزاوية المغاربة (الأشراف)[6]. وتعدُّ الزوايا أكثر المؤسسات التعليمية تأثيراً في الخليل خلال العصر المملوكي لاحتواء المدينة على عدد قليل من المدارس.

أما **الأربطة** فمفردها رباط، وهو من المنشآت الدينية الصوفية، والربط في الأصل هي الأماكن التي كان يرابط فيها المجاهدون[7] وتقوم في الثغور الإسلامية والسواحل لمراقبة العدو وصدِّ غاراته ثم تطوَّرت لتصبح مكانا لإقامة المتصوِّفة والزُّهاد والفقراء والمساكين الذين لا مأوى لهم وينزل فيها المرضى أحيانا على أساس أنَّهم محتاجون، ويقدَّم الطَّعام والمساعدات المختلفة في تلك الأربطة[8].

---

[1] **الزاوية الجراحية:** فتقع في الجهة الشمالية من القدس في حيّ الشيخ جراح، واقفها حسام الدين الحسين بن شرف الدين الجرّاحي(ت598هـ/1201م) أحد أمراء صلاح الدين الأيوبي، وقد خصص لها أوقافا ووظائف، وتحتوي الزاوية على مسجد ومئذنة وتتكون من فسحة سماوية يحيط بها عدد من الغرف، تعد غرفة الضريح أكبرها حيث يوجد الضريح بوسطها، وبها إيوان واحد مستطيل غطي بسقف مسطح ويقع بابها في الضلع الشمالي في مواجهة المحراب. كرد، 150/6، الحنبلي، 48/2، العارف، ص239، الحنبلي، 164/2.

[2] **زاوية الدركاه:** والتي تقع بجانب البيمارستان الصلاحي، وواقفها هو شهاب الدين غازي بن الملك العادل(ت658هـ/1260م)، وذكر الحنبلي أنَّها من بناء هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين الكبير، وفي عهد الاحتلال الفرنجي لمدينة القدس أصبحت الزاوية دارا للإسبتارية، وفي العهد المملوكي أصبحت مكانا ينزل به نواب القدس الشريف. علي، 150/6، الحنبلي، 47/2.

[3] **زاوية عمر المجرد:** تنسب للشيخ أبو حفص عمر بن نجم الدين يعقوب البغدادي المقدسي المعروف بالمجرد (ت775هـ/1373م) رحل من بغداد إلى الخليل، وقام بإنشاء الزاوية المنسوبة إليه سنة (775هـ/1373م)، وتقع بالقرب من الحرم الإبراهيمي، خلف مسجد الجاولي على الطريق المؤدي إلى الحرم، يفصل بينهما طريق قصير. الحنبلي، 78/2، علي، 151/6، الحنبلي، 163/2، جبارة، ص64.

[4] **زاوية ابراهيم الهدمة:** تنسب للشيخ إبراهيم بن عبد الله الهدمة (ت730هـ/1329م)، سكن الهدمة قرية الشيوخ وهي قرية واقعة في الناحية الشمالية لمدينة الخليل، بين القدس والخليل وقام الهدمة ببناء زاوية له في تلك القرية واعتكف فيها. الصفدي، 38/6، ابن تغري بردي، 88/1.

[5] **الزاوية الأدهمي:** تنسب للشيخ علي بن محمد بن إبراهيم الأدهمي الملقب بكنفوش والذي كان زاهدا عالما. الحنبلي، عدت الزاوية الأدهمية من أهم زوايا العصر المملوكي من الناحية التعليمية، تقع إلى الغرب من بركة السلطان في حارة الدارية بمدينة الخليل. الحنبلي، 79/2، أبودية، ص65.

[6] **زاوية المغاربة (الأشراف):** قام الشيخ محمد بن عبد الله الحسيني الملقب بالسقواتي (ت652/1254م)نسبة إلى الساقية الحمراء الموجودة في المغرب، بإنشاء زاوية المغاربة في الجهة الشمالية الغربية من الحرم الإبراهيمي، بالقرب من عين الطواشي، لتكون مكاناً لتعبده واعتكافه، وقد هاجر السقواتي من بلاده إلى القدس، حيث عمل مدرساً للمذاهب الفقهية في المسجد الأقصى واكتسب من خلال تدريسه هناك مكانة مرموقة بين علماء القدس، ثم رحل ليعمل مدرساً بالحرم الإبراهيمي، فدرس فيه الفقه على المذهبين المالكي والحنفي، وعندما أسس زاويته أصبح يدرس فيها فجاءه الكثير من الطلاب ليأخذوا عنه العلم إلى أن توفي. أبودية، ص99، الحنبلي،41/2.

[7] ابن منظور، 302/7.

[8] صافي، ص164.

عرفت فلسطين وجود الأربطة منذ القرن (الرابع الهجري/العاشر الميلادي) حيث ذكر المقدسي وجود كثير منها على امتداد سواحلها، ووصفها بأنها كانت محصنة بالأبراج لإقامة المجاهدين فضلا عن أنها أماكن لافتداء أسرى المسلمين من الروم[1].

وجدت في القدس والخليل العديد من الأربطة التي كانت تؤدي دورا دينيا وفكريا وتدل كذلك على ازدهار الحركة العلمية والثقافية في هاتين المدينتين ومن أهم هذه الأربطة: رباط البصير[2]، والرباط المنصوري[3]، ورباط الكرد[4]، ورباط نجم الدين [5]، والرباط التنكزي[6].

أما مدينة الخليل فقد وجدت فيها بعض الأربطة التي كان لها دور كبير في الحياة العلمية والدينية والثقافية ما يدلل على اهتمام الحكام والأمراء بهذه المدينة لأهميَّتها الدينيَّة، ومن أبرز هذه الأربطة: رباط الطواشي[7]، ورباط مكي[8]، ورباط الجماعيلي[9].

---

[1] المقدسي، ص177.

[2] **رباط البصير**: أوقفه علاء الدين آيدغدي بن عبد الله الصالحي، تولى نظر الحرمين أيام السلطان بيبرس وقلاوون، دفن بالرباط عام(693هـ/1294م)، وهو من أقدم أربطة القدس. الصفدي، 272/9، ابن كثير،3/ 337-338،

[3] **الرباط المنصوري**: يقع في جهة المسجد الأقصى الغربية بالقرب من باب الناظر خارج ساحة الحرم، وقد أوقفه السلطان المنصور قلاوون الصالح (ت689هـ/1290م) وذلك في عام (681هـ/1282م). الحنبلي، 354/2، علي، ص149، العارف، ص200.

[4] **رباط الكرد**: يقع عند باب الحديد، وقد أوقفه المَقَرّ السَّيفي كرد عام(693هـ/1293م) والمبنى مكون من طابقين وبه مجموعة من الخلاوي، وغرف الإقامة. الحنبلي، 37/2، علي، 148/6. **السيفي كرد**: أحد مماليك السلطان ضياء الدين بن الخطير، عمل ساقيا للسلطان قلاوون، تولى نيابة طرابلس زمن محمد بن قلاوون، (ت699هـ/1300م) أثناء حربه مع التتار. الذهبي، 926/15، الصفدي، 251/24.

[5] **رباط نجم الدين بن ناصر**: يقع عند باب حطة، عمَّره الملك الأوحد نجم الدين بن الملك الناصر، قام الرباط بدور بارز في المجال العلمي والفكري لذلك عده بعضهم مدرسة وأطلق عليه أسم المدرسة الأوحدية. أبو لاوي، ص120.**نجم الدين بن ناصر بن داوود** ابن الملك العظم عيسى، عمل ناظرا في القدس والخليل، (ت698هـ/1298م). ابن كثير، 5/14، ابن العماد، 7/ 774.

[6] **الرباط التنكزي**: وهو عبارة عن مدرسة حوت دارا للحديث ورباطا للصوفية الرجال وللنساء، أنشأه الأمير سيف الدين تنكز الحسامي الناصري، أحد مماليك الملك حسام الدين لاشين، جعله الملك الناصر أحد خواصه وولاه نيابة الشام، لكن قبض عليه وقتله في الإسكندرية عام(741هـ/1340م). ابن تغري بريد،327/9، الحنبلي، 3/2، أبو لاوي، ص120، العسلي، 111/1-116.

[7] **رباط الطواشي**: لم يذكر عنه شيء غير أنه موجود في حارة الأكراد. الحنبلي،2/ 79.

[8] **رباط مكي**: يقع في حارة قيطون، وهي حارة من إحياء الخليل وتعني المخادع، ونستدل بذلك أن رباط مكي كان موجوداً في الفترة المملوكية، ويبعد عن الحرم الإبراهيمي الشريف حوالي مائتي مترٍ، استعمل رباط مكي لإيواء وضيافة المحتاجين، إلى أن حوله الشيخ أبي الريش إلى زاوية باسمه، وقامت عائلة أبي رجب في المدينة باستلام مشيخة الرباط أو الزاوية. الدباغ، 190/5

[9] **رباط الجماعيلي**: يقع في حارة النصارى، ومؤسسه رجل صالح من قرية جماعيل. الحنبلي،79/2. **قرية جماعيل**: قرية من جبل نابلس بأرض فلسطين، الحموي 159/2.

وإذا نظرنا إلى الأربطة ومؤسسيها فإننا نستنتج أنها أقيمت لرجال أتقياء صالحين، واستُعملت سكناً للعلماء ولاعتكافهم، ومكانا لنشر العلم، ووفَّرت المأكل والمسكن لهؤلاء العلماء[1].

ساهمت الأربطة بشكل كبير في إثراء الحياة العلمية والفكرية ورفد الجانب الديني في مدينتي القدس والخليل، وهذا كان له أكبر الأثر في زيادة أعداد زوار المدينتين والعلماء الراحلين إليهما من كل الأقطار.

المدارس

لم يعثر الباحثون في تاريخ القدس على مدارس عرفت قبل العصر الأيوبي، إلا مدرسة واحدة، أنشأها الفاطميون، كون مجالس العلم كانت تقام في المساجد وبيوت العلماء والكُتَّاب، لكن عصر المدارس الحقيقي بدأ في القدس بعد تحريرها سنة (583 هـ/ 1184م)[2].

فظهورها كان على يد صلاح الدين الذي بنى المدرسة الصلاحية للفقهاء الشافعية[3] بعد فتحه للقدس[4]، كما بنى معها رباطا للصوفية، ورغم كونه شافعيا صوفيا، ولكنه لم يهمل المذاهب الأخرى، فبنى لكل واحد منها مدرسة ما عدا المذهب المالكي لعدم وجود مالكية بأعداد كبيرة في زمنه في القدس، ولكنهم كثروا في عهد ابنه الأفضل علي (ت1196م) حيث كثر المغاربة فبنى لهم المدرسة المالكية[5].

وفي عهد المماليك ظهرت في القدس العديد من المدارس وبلغ اهتمام المماليك بها أن حولوا بعض الأربطة إلى مدارس، فقد ذكر ابن فضل الله العمري أن نائب السلطان عَمَّرَ الرَّبطَ المَنصوري القلاووني مدرسة جليلة وقفها على مدارس وفقهاء ومتفقهة على مذهب أبي حنيفة [6].

---

[1] المقريزي، 435/2، عثامنة، ص414.

[2] الخربوطلي، ص20.

[3] البار، ص55.

[4] المقريزي، 408/3

[5] البار، ص55.

[6] العمري، 376/3.

اهتمت المدرسة بتدريس الطلاب القرآن الكريم، وتفسيره، وعلم القراءات، والحديث النبوي الشريف، والفقه والسيرة النبوية، واللغة العربية وما يتعلق بها من نحو وصرف وشعر وبلاغة[1].

ولم تقف المدرسة في العصر المملوكي على تعليم تلك المواد والعلوم بل تعدت ذلك من خلال ظهور المدارس المتخصصة، إذ ظهرت المدارس المتخصصة بعلوم الحديث وأخرى بعلوم القراءات وبعلوم اللغة العربية وظهرت كذلك مدارس متخصصة في مجال المذاهب الفقهية، ومنها مدارس تعتني بدراسة المذهب المالكي وأخرى تعتني بالمذهب الحنبلي والشافعي والحنفي[2].

وترتَّب على ظهور العلوم المختلفة من خلال المدارس المملوكية أنه كان لابد من تعيين مدرسين يكون لهم القدرة على تدريس تلك المواد، فوظف كثيرا من المدرسين الأكفاء[3] الذين تتحقق فيهم شروط التدريس منها أن يكون حافظاً للقران الكريم، كذلك يشرط فيه أن يكون عالماً زاهداً، يجمع بين الكفاءة والريادة والمهابة والعدالة[4].

ومن أهم المدارس في مدينة القدس نذكر منها: المدرسة التنكزية [5]، والمدرسة الخاتونية[6]، والمدرسة الجراحية[7]،

---

[1] القلقشندي، 404/5، زيادة، ص56.

[2] كرد، 117/6؛ رزق،45/1.

[3] النويري، 341/32.

[4] ابن كثير، 228/14، رزق، ج1، ص45.

[5] **المدرسة التنكزية:** أوقفها الأمير سيف الدين تنكز، تقع على يمين الداخل إلى الحرم الشريف من باب السلسلة. الحنبلي، 35/2. **الأمير سيف الدين تنكز** بن عبد الله المالكي الناصري المتوفى سنة 741 هـ/1340م، له مآثر كثيرة في القدس وغيرها، فقد وضع الرخام في قبلة المسجد عند المحراب، وجانب المسجد الأقصى الغربي، وقناة الماء الواصلة إلى مدينة القدس، والبركة الرخامية بين الصخرة والأقصى، الحنبلي، 35/2؛ الخربوطلي، ص33، الحنبلي، 35/2، ابن العراقي، 173/1، النقر، ص186.

[6] **المدرسة الخاتونية:** تقع بباب الحديد واقفتها اغل خاتون بنت شمس الدين محمد بن سيف الدين القازانية البغدادية ووقفت عليه المزرعة المعروفة بظهر الجمل واشتهرت في عصرنا وقبله بباطن الجمل تاريخ وقف الجهة المذكورة(755هـ/1354م) والمدرسة عبارة عن مدخل يؤدي إلى غرفة معقودة، ثم إلى ساحة سماوية تحيط بها الغرف من الناحية الجنوبية والغربية والشمالية، وفيها إيوانان متقابلان في الطرف الشرقي للساحة، وفيها غرفة قبر مع غرفة أمامية ملاصقة. الحنبلي، الأنس الجليل، ج2، ص36؛ الخربوطلي، مدارس القدس، ص34.

[7] **المدرسة الجراحية:** تقع في الحي المعروف بحي الشيخ جرّاح، على بعد 2كم من سور المدينة نحو الشمال، وعلى الطريق المؤدية إلى نابلس. أنشأها الأمير حسام الدين الحسين بن شرف الدين عيسى الجراحي، أحد أمراء السلطان صلاح الدين الأيوبي، توفي سنة 598هـ/ 1210م ودفن في مدرسته المذكورة. الخربوطلي، ص38.

والمدرسة الجاوليَّة[1]، والمدرسة الأرغونية[2]، والمدرسة المنجكيَّة[3].

أمَّا في **مدينة الخليل** فإنَّ المتتبِّع لمصادر التَّاريخ والسير وكتب الرحالين والجوالين الذين زاروا المدينة أو مرُّوا عليها يقف على ذكر عدد من العلماء والفقهاء والزُّهاد[4] ممن ارتبط ذكرهم بها مما يدل على أن المدينة كانت مدينة نبوة وقداسة تحجُّ إليها أفئدة العرب والمسلمين من جميع الأمصار بقدر ما كانت منارة علم أسهمت بقدر ليس باليسير في التراث العربي الإسلامي عبر الزمن من حيث المؤلفات والمصنفات التي كتبت بأيدي علمائها أم من حيث المدارس والزوايا التي أنشئت في المدينة نفسها أو العواصم الإسلامية الأخرى التي قدر للعلماء من أهل المدينة أن ينشئوا مدارسهم فيها[5].

عدت مدارس الخليل نموذجاً مهماً لمدارس العصر المملوكي، فقد طبقت فيها خصائص المدارس المملوكية، كظهور التخصصات، وتعدد الأساتذة، وكثرة الطلاب، ووجد الأكفياء فيها، فبالرغم من قلة عدد المدارس في

---

[1] **المدرسة الجاولية:** تقع في الرواق الشمالي للمسجد الأقصى، في الزاوية الشمالية الغربية منه بجانب المدرسة العمرية على الجزء الصخري من الحائط، وقريبة من درج الغوانمة، أوقفها سنة (715هـ/1315م) الأمير علم الدين سنجر الجاولي الآمدي، وهي عبارة عن إيوان كبير على جهة القبلة، وعلى جانبيها غرفتان تطلان على الحرم عبر خمس نوافذ، ولها واجهات من الحجر الأبلق، وفيها ساحة مستطيلة، وعدة غرف من النواحي الشرقية والشمالية والغربية للساحة، وقد أضيفت غرفة زمن الاحتلال الصليبي لاستعمالها كنيسة لفرسان الهيكل، استعملت هذه الغرفة بعد التحرير الصلاحي كتربة ففيها قبر أمير أيوبي يدعى درباس الهكاري. الخربوطلي، ص39. النقر، ص187. **سنجر الجاولي:** وهو من مواليد آمد في ديار بكر، كان أيام الناصر محمد حاكماً لغزة، ثم اعتقل وبعد الإفراج عنه عادت إليه إمارته فعمل مفتشاً لمدرسة ومشفى قلاوون بالقاهرة، وبعد وفاة الناصر محمد وليَ حماة، ثم غزة ثانية ثم عاد إلى القاهرة ليترأس القوات المحاصرة لأحمد بن الناصر في الكرك، توفى سنة 745 هـ/1345م. الحنبلي، الأنس الجليل، ج2، ص38؛ الخربوطلي، مدارس القدس، ص38.

[2] **المدرسة الأرغونية:** أنشأها الأمير أرغون الكاملي سنة 758هـ (ومعنى أرغون الحديد)، وكان من رجال الملك كامل شعبان، وصار في عهده الحاكم المطلق في الشام وحلب، أوقف في القاهرة وسجن في الإسكندرية، ثم نقل إلى القدس في أواخر سنة 755هـ/1354م حيث عاش بلا عمل، وبقي فيها إلى أن مات سنة 758هـ، ودفن في مدرسته، وكان مشروعه فيها في سنة 758هـ/1357م، وأتم بنائها الأمير ركن الدين بيبرس سنة 759هـ/1358م، والدليل على ذلك ما نقش فوق بابها بالخط النسخي المملوكي الجميل.الخربوطلي، ص38، النقر، ص188.

[3] **المدرسة المنجكيَّة:** تقع بباب الناظر جوار الحرم وقفها الأمير منجك، نائب الشام ونقل الحنبلي أن الأمير منجك كان وصل إلى القدس الشريف ليبني المدرسة للسلطان المملوكي الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون، المتوفي سنة (762هـ/1360م)، فلما قتل السلطان في سنة (762هـ/1360م) بناها لنفسه ونسبت إليه، ووقف عليها ورتب لها فقهاء وأربابا. ابن بطوطة، 506/2، علي، 118/6. **الأمير منجك** (714–776هـ/1314–1375م) منجك بن عبد الله، سيف الدين اليوسفي الناصري: أمير داهية جبار. يعرف بمنجك الكبير. كان في خدمة الناصر (محمد بن قلاوون) ثم كان هو الّذي حمل رأس ابنه أحمد (الناصر ابن الناصر) سنة 745 واستقر حاجبا بدمشق. وولي الوزارة بمصر وصرف عنها وأعيد إليها بعد أربعين يوما. ثم قبض عليه وسجن بالإسكندرية وأفرج عنه فسافر إلى صفد. ثم استقر في نيابة طرابلس. وولي حلب ومات في داره بمصر. الزركلي، 291/7.

[4] ابن بطوطة، 77/1

[5] عمرو، ص51.

الخليل إلا أنها أثرت بالحياة العلمية بالمدينة خلال ذلك العصر ومن أهم هذه المدارس: المدرسة القيمرية[1] والمدرسة الفخرية[2].

وبذلك فإنه يبدو لنا أن المدارس في الخليل خلال العصر المملوكي لعبت دوراً كبيرًا بالحياة العلمية، ولم تنته الحياة العلمية في الخليل بعد إغلاق تلك المدارس، فقد كانت بجانبها المساجد والزوايا التي أكملت دور المدارس في تطوير التعليم في المدينة.

ويظهر من خلال النصوص الجغرافية والتاريخية أن المدارس حظيت بمكانة كبيرة في الفترات السابقة وخاصة المملوكية، وأن السلاطين والأمراء أولوها عناية فائقة تخليدا لذكرهم ودعما للعلم والثقافة آنذاك استشعارا منهم بالمسؤولية الدينية والثقافية الملقاة على عاتقهم في كل المراحل التي مرت بها مدينتي القدس والخليل.

العلماء والفضلاء

تحفل مدينتي القدس والخليل بعدد كبير من العلماء والفضلاء الذين كان لهم دور كبير في الحياة الثقافية والاجتماعية لهاتين المدينتين، لما قدموه من حلقات في مختلفة العلوم الدينية واللغوية والتَّصانيف الفقهية والأدبية، حيث عمل الكثير منهم في التعليم والتأليف والإمامة والخطابة وفي مختلف العلوم الدينية، في وقت كانت الرحلة لطلب العلم من مختلف بلاد العالم الإسلامية تأتي إلى هاتين المدينتين.

ذكر ابن بطوطة –على سبيل المثال– انه التقى بيت المقدس عندما زاره في القرن (الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي) بعدد من الفضلاء وكان منهم القاضي شمس الدين محمد بن سالم الغزي وهو من أهل غزة

---

[1] **المدرسة القيمرية:** تعد هذه المدرسة من المدارس التي لم يعرف مؤسسها، ولا سنة تأسيسها، ولم يعرف عنها سوى ما ذكره مجير الدين الحنبلي في كتابه الأنس الجليل دون ذكر تفاصيل عنها، تقع المدرسة بالقرب من الحرم الشمالي بجانب سبيل الطواشي الحنبلي، 79/2.

[2] **المدرسة الفخرية:** أنشأها القاضي فخري الدين (ت732هـ /1360م) ناظر الجيوش الإسلامية، لم يذكر أي تفاصيل عن المدرسة الفخرية سوى أنها تقع في حارة الشعابنة، وإنها أهملت بالقرن التاسع هجري /الثاني عشر ميلادي. الحنبلي، 79/2. **القاضي فخر الدين** (ت732هـ/1360م) أبو عبد الله محمد بن فضل الله، ناظر الجيوش الإسلامية بمصر، أصله قبطي أسلم فحسن إسلامه، وكان له أوقاف كثيرة واشتهر بإحسانه إلى أهل العلم، وكان صدرا معظما، حصل له من السلطان حظ واسع ونسبت له المدرسة الفخرية بالقدس، وأحيط على أمواله بعد وفاته، ابن كثير، 249/18–250

وكبرائها؛ كذلك التقى بخطيب القدس الصالح الفاضل عماد الدين النابلسي[1] وغيره من العلماء الذين كانوا يجاورون تلك الأماكن المقدسة[2].

وكان هؤلاء العلماء بارعون في كل العلوم الدينية واللغوية مثل علم القراءات والتفسير واللغة وغيرها، ومن هؤلاء شيخ الإسلام صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي العلائي المقدسي، والذي درس الفقه والتفسير في دمشق ثم انتقل إلى القدس وولي مشيخة الصلاحية وأضيف إليه دار الحديث التنكزية[3].

وقد كان لبعض علماء الخليل وفقهائها باع طويل في إثراء العلوم الإسلامية بما تركوه لنا من الرسائل والمصنفات في مختف العلوم والآداب العربية الإسلامية منهم الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد التَّدمري[4]، والصاحب فخر الدين التميمي[5] الذي تولي نظر الصحبة [6] في أيام المنصور قلاوون، وتولى الوزارة أيام السلطان العادل كتبغا[7] وكان يكتب عنه في تواقيع الوزارة ((سيد العلماء والوزراء))، توفي ودفن في مصر [8].

وقد ذكر العمري أنه عندما زار الخليل سنة (745هـ/1344م) التقى بأحد أحفاد تميم الداري، وهو الصاحب ناصر الدين أبي عبد الله محمد بن الخليلي التميمي الداري وأنه طلب منه رؤية الكتاب الذي كتبه الرسول

---

[1] **عماد الدين النابلسي:** عبد الحافظ بن بدران بن شبل بن طرخان الزاهد القدوة المسند الرحلة أبو محمد عماد الدين النابلسي المقدسي شيخ نابلس.

قدم دمشق في صباه وسمع الكثير من جماعة من العلماء وحصل على كثير من الإجازات في القراءات وتفرد بأشياء وقصد للسماع والزيارة والتبرك وبنى بنابلس مدرسة وجدد طهارة وكان كثير التلاوة والأوراد لازما بيته إلى جانب مسجده وقيل إنه تعاطى الكيمياء مدة ولم تصح له. توفي سنة(698هـ/1299م). الصفدي، 35/18.

[2] ابن بطوطة، 77/1.

[3] الصفدي، 257/13، الحنبلي، 106/2.

[4] **شمس الدين أبو عبد الله محمد التدمري** إمام الحرم الإبراهيمي الشريف وقاضي مدينة الخليل والذي عاش فيها في النصف الاول من القرن الثامن الهجري وترك مصنفات عديدة في علوم الدين. المرادي، 233/3، عمرو، ص53

[5] **الصاحب فخر الدين التميمي:** عمر بن عبد العزيز بن الحسين بن الحسن إبراهيم التميمي الداري الخليلي (ت711هـ/1311م) ولد بمصر ونشأ فيها وتولى عددا من المناصب. الصقاعي، ص126، الذهبي، ص58، الذهبي،76/2، الصفدي، 317/22، ابن حجر، 225/2.

[6] وظيفةُ شاغلها مشاركة الوزير المملوكي بتدبير الشؤون المالية للدولة، وعندما لا يكون هناك وزير يصبح منصب ناظر الصحبة من أهم مناصب الدولة ويطلق عليه الصاحب وعلى منصبه الصحبة الشريفة. المغلوث، ص226.

[7] **كتبغا:** هو الملك العادل زين الدين كتبغا بن عبد الله المنصوري، عاشر سلاطين المماليك، تولى الحكم سنة 694هـ. الصفدي، 209/24؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ص386.

[8] ابن خلدون، 466/5، المقريزي، 113/2، ابن تغري بردي، 220/9، ابن العماد، 51/8.

صلى الله عليه وسلم لتميم الداري بإقطاعه منطقة الخليل وقد وصف ذلك الكتاب وأنه محفوظ في خرقة سوداء من قطن وحرير[1].

ثانيا: الأوضاع الاجتماعية

لم تُشر المصادر الجغرافية كثيرا إلى الأوضاع الاجتماعية في مدينتي القدس والخليل، لكن يمكن استنتاج طبيعة تلك الأوضاع من بعض الإشارات القليلة التي وردت في تلك المصادر والتي تعلقت بسكان هاتين المدينتين وأوضاعهم المعيشية في بعض الحقب التي مرت عليها.

السكان

لم تذكر المصادر الجغرافية عدد السكان في مدينتي القدس والخليل عبر العصور المختلفة وهذا عائد إلى غياب الإحصائيات في الأزمنة الغابرة، لكن بعض الجغرافيين يخمنون تخمينا، فعلى سبيل المثال أورد خسرو (438هـ/1047م) في القرن (الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي) من أن مدينة القدس كان بها عشرون ألف رجل[2]. أما طبيعة سكانها فقد وصفهم الحموي بأنَّهم كانوا يتميزون بالعفة[3] وهذه الصفة يقصد بها سكانها المسلمين.

وقد اختلفت تركيبة المدينتين من زمن إلى آخر حسب تبعيتها فقد سكنها الكنعانيون الأوائل الذين ينحدر منهم اليبوسيون، ثم العبرانيون المحتلون الذين رغم احتلالهم لها لم يستطيعوا إخراج اليبوسيين منها[4] وقد حافظت على طابعها العربي الكنعاني رغم تبدل الغزو والاحتلال إلا ما كان زمن الاحتلال الصليبي لها حيث عملوا على إبادة سكانها المسلمين وتهجيرهم والسكن في بيوتهم وأماكنهم، وفي منتصف القرن الثاني عشر أبيح لجزء بسيط منهم دخولها، كذلك سمح لبعض العائلات الإقامة خصوصا المهرة في الصياغة، فقد

---

[1] العمري، 235/1.

[2] خسرو، ص67، الحموي، 168/5.

[3] الحموي، 168/5.

[4] ظاظا، ص10.

شاهدهم الرحالة بنيامين التطلى Benjamin of Tudela وهو أحد رحالة العصور الوسطى من الإسبان الذين زاروا القدس بعد عام(563هـ/1167م) بوقت قصير، فذكر أن الممتاز من الصياغة كان يبيعه يهود بيت المقدس إلى الملك وكان يقيم مئتان منهم في أحد أركان المدينة في برج داوود[1].

أمَّا مدينة الخليل فقد كان سكانها الأوائل من العرب الكنعانيين والذين ينحدرون من الصلب السامي والذين هاجروا من الجزيرة العربية ضمن موجات الهجرة الأولى عبر التاريخ(4000–1500ق.م)[2]، ويبدو أن المدينة بأسرها قد خربت على أيدي الفرس فهجرها أهلها تماما، حتى جاء الإسلام وأقطعها رسول الله –صلى الله عيه وسلم– لصاحبه تميم بن أوس الداري وذريته من بعده قبل أن يقدَّر للواء الإسلام أن يرتفع فوق ربوعها بزمن[3].

عدت الخليل مسكناً للعائلات الكردية التي قدمت مع صلاح الدين إلى فلسطين، ومن أشهر هذه العائلات عائلة القيمري، التي تعد من أهم العائلات خلال العصر المملوكي، إذ ظهر منها العلماء والفقهاء الذين ساهموا بتطوير الحركة العلمية في المسجد الإبراهيمي، من خلال تدريسهم للعلوم الدينية فيه[4]، وكذلك عائلة الحموري ومرقة، التي كان لها دورٌ كبير في خدمة الحرم والتعليم فيه، وعائلة الهكاري واليغموري وأبو خلف ونيروخ وأحمرو وغيرها الكثير من فروع العائلات الكردية في الخليل التي ساهمت في أحياء الحركة الفكرية للحرم[5].

[1] زايد، ص217.
[2] عمرو، ص17.
[3] عمرو، ص42–43.
[4] القيمري، ص20.
[5] البخيت، ص294.

ولكثرة العائلات القادمة للخليل ازداد الوقف على الحرم الإبراهيمي، فقام المعظم عيسى (576-624هـ/1180-1217م)[1] على وقف الكثير من القرى إلى الحرم كي يضمن للسكان الجدد العيش الكريم وتثبيت أقدامهم بالمدينة[2].

أما في الخليل فرغم اتصافهم بالكرم، فقد ذكر العيَّاشي في رحلته وجود اللصوص الذين يعترضون المسافرين وخاصة المغاربة منهم بحثا عن الذهب إذ يقول: "ولم نخرج من فناء المدينة -يقصد الخليل- حتى مطلع النهار وكنا ننتظر رفقة معها عدة فرسان لنسير معهم لأن المحل مخوف، وغالب أهله متلصِّصون، وقد أخبرنا بعض من سافر معنا من أهل البلد بعد ذلك أن جماعة من متلصِّصي ذلك البلد جاؤوه وقالوا له: وافقنا على سلب هؤلاء المغاربة، فإذا شلَّحناهم أخذنا نحن الأمتعة وأخذت أنت ما معهم من الذهب.."[3] وهذا يدل على وجود اللصوص في ذلك الوقت وهذه الحالة عامَّة لا تخص الخليل وحدها وإنَّما هي أوضاع كانت تعم في معظم المناطق في ذلك الزمان.

الأوضاع المعيشية

تدل المصادر الجغرافية أنَّ الأحوال المعيشية في مدينتي القدس والخليل عبر العصور المختلفة كانت حسنة بشكل عام، فهما مدينتان يرتحل إليهما الناس لأهميتهما الدينية، وهذا بدوره فرض على الحكام والولاة شعورا بالمسؤولية تجاههما لتوفير سبل الراحة للناس القادمين إليهما، وتشير المصادر الجغرافية إلى الوَفر الذي تمتعت به هاتين المدينتين والمتمثِّل بكثرةِ البساتين التي كانت تحف الطرق المؤدية إليها وتنوع المزروعات التي كانت تزرع فيها، ونشاط مستمرة على مر الأيام والعصور وهذا دليل على ان الخير في هذه المدينة غير منقطع بحيث لا يجوع فيها أحد، فقد ذكر العمري أنه زار الخليل سنة(745هـ/1345م) في بعض ليالي

[1] **المعظم عيسى** (576-624/1180-1217م): شرف الدين عيسى بن سيف أحمد، من سلاطين الأيوبيين، كان عالما فقيها شاعراً، خلف أثار كثيرا منها المدرسة المعظمية، ابن تغري بردي، 306/2.

[2] الحنبلي، 60/1، جبارة، ص47.

[3] العيَّاشي، 462/2.

العشر ففرقوا زيادة على ثلاثة عشر ألف رغيف وأن غالب أيام العام ما بين سبعة آلاف والعشرة آلاف إضافة إلى ما كان يفرق من طعام العدس بالزيت الطيب والسمَاق وطبيخ الدشيش الذي يفرق على الواردين وأنه في بعض أيام الأسبوع كان يطبخ ما هو افخر من ذلك[1]، وقد وصف الظاهري (872هـ/1468م) في القرن (التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي) هذا السماط بقوله: "...لو ورد هذا المكان أهل الدنيا لغاصت البركة على السماط إلى أن يكفيهم.."[2].

وتشير المصادر الجغرافية إلى وجود المستودعات التي كانت مخصصة للقمح والتي كانت مرتبطة بالأفران العاملة في صناعة الخبز آنذاك، فقد ذكر العمري أن القمح كان يفرغ في الأهراء[3] ويخرج مخبوزا ولم يزل على هذا الحال في الشهور والأعوام والليالي والأيام لا ينقطع له مدد ولا يحصر بضبط ولا عدد[4].

كل ذلك يدل دلالة واضحة على الوَفر والخيرات والأوضاع المعيشية الحسنة وكذل على الطباع الطيبة للناس في تقديم الضيافة واستقبال الزوار واحترامهم وتوفير سبل الراحة لهم، وقد كان يساعد في ذلك الأوقاف التي كان يوقفها السلاطين والنواب من أجل استمرار الخدمة في هاتين المدينتين.

لكن يلاحظ أنَّ الأوضاع المعيشية لسكان مدينتي القدس والخليل تذبذبت عبر العصور صعودا ونزولا حسب الأوضاع السياسية والأمنية في هاتين المدينتين، ففي أوقات الحروب كان يعم الفقر والجوع والعَوَز وكذلك كان عدد السكان يقل بشكل كبير بسبب الهجرة خوفا على أرواحهم، وهذا كان واضحا بشكل كبير أيام الاحتلال الصليبي وما قام به من مجازر وسلب ونهب وتدمير لهاتين المدينتين.

---

[1] العمري، 234/1.

[2] الظاهري، ص24.

[3] **الأهراء**: مفردها هري وهي المستودعات التي يخزن فيها القمح أو المخازن التي يخزن بها. هلالي، ص68. وقد عرفها صاحب العين بأنها بيت ضخم لطعام السلطان. الفراهيدي،84/4.

[4] العمري، 234/1.

كما كان للنظام الإقطاعي وخاصة في العصر المملوكي أثر آخر على خلق الأزمات الاقتصادية أحيانا أخرى ذلك أن التغير الدائم للأشخاص المقطعين، جعل كل مقطع يحرص على أن يجمع لنفسه ثروة طائلة دون الاهتمام بوسائل زيادة الإنتاج أو تحسين الأرض المنتجة. ومن أهم الآثار السلبية لتلك السياسة الاستنزاف الدائم للأرض الزراعية، إضافة إلى إرهاق الفلاحين، مما دفع الكثيرين منهم إلى الهجرة عن أرضهم وقراهم. وخير مثال على ذلك ما حدث في بيت المقدس سنة (892هـ/1487م)، حين ولى الأمير دقماق نائباً على المدينة "تزايد ظلم دقماق نائب القدس الشريف وكثر طمعه وتلاشت أحوال المعاملة واختل نظامها... وكثر السرَّاق وأفحشوا في قطع الطرق وقتل الأنفس وبقي الناس في شدة"[1].

وهذا يبين أن سياسة الحكام كانت تلعب دورا في تردي الأحوال المعيشية للسكان بسبب التضييق وزيادة الضرائب واستخدام القسوة والترهيب في تطبيق سياستهم وتحصيل ما يريدونه من الناس.

[1] القلقشندي، 441/3.

الخاتمة

يعود اهتمام الجغرافيين العرب والمسلمين بمدينتي القدس والخليل لأهميتهما الدينية ووجود المقدسات الإسلامية فيهما، وكان وصف الجغرافيين العرب والمسلمين للمعالم الإسلامية في القدس والخليل وصفا تفصيليا، أما المعالم غير الإسلامية فكان ذكرها مختصرا.

تبرز المصادر الجغرافية اهتمام حكام المسلمين بمدينتي القدس والخليل على مر العصور وحرصهم على ديمومة إسلاميَّتهما من خلال العناية بالمعالم الإسلامية فيهما ودعم الوفود إليهما وتشجيع السكن فيهما وتوفير سبل الحياة الكريمة لساكنيهما.

يظهر التغيير في التركيبة الديمغرافية لمدينتي القدس والخليل على مر العصور حسب الجهة المسيطرة عليهما فعند الفتح الإسلامي لهما زاد عدد سكانها المسلمين وعند الاحتلال الصليبي قلَّ هذا العدد، وحرص الصليبيون على إضفاء الطابع المسيحي على مدينة القدس عند احتلالها فأصبح المسجد الأقصى ومسجد الصخرة محرم على المسلمين دخولهما.

لم تتوسع المصادر الجغرافية كثيرا في ذكر تفاصيل الحياة اليومية لسكان القدس والخليل ولا في ذكر أسماء المؤسسات التعليمية فيهما أو علمائهما وإنَّما انصب مجمل الوصف لطبيعة المدينتين وموقعهما ومصادر المياه فيهما ووصف الحدائق والبساتين والتركيز في الوصف التفصيلي للمسجد الأقصى ومعالمه والمسجد الإبراهيمي وما يحويه من قبور للأنبياء.

لم تتطرق المصادر الجغرافية بشكل تفصيلي لطبيعة الطرق ومساراتها وإنما اكتفت بذكر المسافات مع اختلاف بينها في استخدام وحدات القياس.

تركت المصادر الجغرافية كثيرا من الإشارات التي يمكن الاعتماد عليها للتعرف على طبيعة الحياة الاقتصادية في مدينتي القدس والخليل في الفترة التي تتناولها هذه الدراسة شملت الزراعة والصناعة والتجارة إضافة إلى العملات التي كانت مطروحة في أسواقهما.

كانت علاقة سكان القدس بحكامها محكومة بسياسة أولئك الحكام تجاه أولئك السكان، إضافة إلى طبيعة نظام الحكم السائد فيهما إن كان غزوا استعماريا أو نظاما عربيا أو إسلاميا.

قائمة المصادر والمراجع العلمية

أولا: المصادر

القران الكريم

مجهول (372هـ/ 982م)، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق: يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، (د.ط)، 2003م.

ابن الأثير، أبو الحسن، عز الدين علي بن أبي الكرم (ت 630هـ/1213م)، الكامل في التاريخ، (12جزء)، دار صادر، بيروت –لبنان، (د.ط)، 1979م.

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات، المبارك بن محمد الشيباني الجزري (ت606هـ/1209م)، النهاية في غريب الحديث والأثر(5أجزاء)، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1979م.

الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس(493هـ/1100م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ط)، 2002م.

الأزدي، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير (ت 150هـ/767م)، تفسير مقاتل بن سليمان(5أجزاء)، تحقيق، عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ط1، 2002م.

ابن الأزهري محمد بن أحمد بن الأزهري (ت 370هـ/980م)، تهذيب اللغة (15جزء)، تحقيق، محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.

الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت 346هـ/957م)، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، (د.ط)،2004م.

بامَخرَمة، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي (ت 947 هـ /1540م)، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر(6أجزاء)، تحقيق: بو جمعة مكري/ خالد زواري، دار المنهاج، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 2008م.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي(256هـ/870م)، صحيح البخاري(9ج)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 2001م.

البكجري، أبو عبد الله، علاء الدين مغلطاي بن قليج بن عبد الله، (ت 762هـ/1360م)، الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا، تحقيق: محمد الْفُتَيّح، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1996م.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (ت510هـ/1116م)، معالم التنزيل في تفسير القرآن (5أجزاء)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1999م.

البصري، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، (ت 200هـ/815م)، تفسير يحيى بن سلام(جزءان)، تحقيق، هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.

البدري، أبو البقاء بن عبد الله، (ت9هـ/630م)، نزهة الأنام في محاسن الشام، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1980م.

البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد(429هـ/1037م): الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، تحقيق محمد الخشت، مكتبة بن سينا، القاهر، مصر، (د.ط)، (د.ت).

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت 487هـ/1049م)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع(4أجزاء)، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط3، 1403هـ/1982م.

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت 487هـ/1049م)، المسالك والممالك (جزآن)، دار الغرب الإسلامي، (د.ط)، 1412هـ/1992م.

البَلَاذُري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت279هـ/892م)، أنساب الأشراف(13جزء) سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ/1996م.

التطيلي، بنيامين (ت569هـ/1174م)، رحلة بنيامين التطيلي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط1، 2002م.

التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي (ت بعد 1158هـ/1745) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم(جزءان)، تحقيق، علي دحروج، مكتبة، بيروت، لبنان، ط1، 1996م.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت 728هـ/1327م)، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم(جزآن) ناصر لعقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط7، 1999م.

ابن جبير، محمد بن أحمد الأندلسي (614هـ/1217م)، رحلة ابن جبير، دار الهلال، بيروت، (د.ت)، (د.ط).

الجرجاني، علي بن محمد بن علي(816هـ/1413م)، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983م.

الجزائري، طاهر بن صالح ابن أحمد بن موهب، توجيه النظر إلى أصول الأثر(جزآن)، تحقيق، عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، سوريا، ط1، 1995م.

الجعفري، أبو البقاء صالح بن الحسين (ت668هـ/1269م)، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل(جزآن)، تحقيق: محمود عبد الرحمن قدح، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1998م.

الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ/1201م)، فضائل القدس، تحقيق: جبرائيل سليمان جبور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط2، 1980م.

الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ/1201م)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك(19)، تحقيق: محمد عطا، مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992م.

الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ/1201م)، مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن(2ج)، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، دار الراية، (د.م)، ط1، 1995م.

الحربي، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق(285هـ/898م)، غريب الحديث(3أجزاء)، سليمان إبراهيم محمد العايد، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1984م.

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت(ت626هـ/1229م): معجم البلدان(7ج)، تحقيق: فريد الجندي، (د.ط)، (د.ت).

الحميرى، نشوان بن سعيد (ت 573هـ/1177م)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (11جزء)، تحقيق: حسين العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط1، 1420هـ/1999م.

الحِميرى، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (900هـ/1494م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط2، 1980م.

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت 626هـ/ 1228م): معجم البلدان(7ج)، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م.

ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (367هـ/977م)، صورة الأرض، مكتبة دار الحياة، بيروت، لبنان، (د. ط)، 1992م.

ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني، الغرناطي الأندلسي، (ت 776هـ/1374)، الإحاطة في أخبار غرناطة(4أجزاء)، تحقيق: يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط4، 2003م.

ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله(299هـ/912م)، المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، هولندا، (د. ط)، 1879م.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، (ت 808هـ/1405م)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر والعجم ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، (8م)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط2، 1988م.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان(7أجزاء)، تحقيق، إحسان عباس، دار، بيروت، لبنان، ط1، 1994م.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت321هـ/933م)، جمهرة اللغة(3أجزاء)، تحقيق: رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1987م.

الدِّيار بَكْري، حسين بن محمد بن الحسن (ت966هـ/1558م)، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، (جزآن)، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت748هـ/ 1347م)، سير أعلام النبلاء(18ج)، دار الحديث، القاهرة، (د.ط)، 2006م.

الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت 666هـ/1268م)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، لبنان، ط5، 1999م.

الرازي، أبو بكرمحمد بن زكريا(ت313هـ/925م)، الحاوي في الطب(7أجزاء)، تحقيق: هيثم طعيمي، دار احياء التراث العربي، لبنان، بيروت، ط1، 2002م.

الزبيدي، أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني(1205هـ/1720م)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، (د.م)، (د.ط)، (د.ت).

سبط بن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف (ت654هـ/1256م)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (23جزء)، تحقيق: محمد بركات وآخرون، دار الرسالة العالمية، سوريا، ط1، 2013م.

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت 771هـ/1369م)، معيد النعم ومبيد النقم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 1986م.

السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن (ت 902هـ/1496م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع(6أجزاء)، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع (ت 230هـ/845م)، الطبقات الكبرى(8أجزاء)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.

ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت 244هـ/858م)، كتاب الألفاظ، تحقيق، فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون (د.م)، ط1، 1998م.

السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي، (ت 562هـ/1167م) الأنساب(ج1) تحقيق: عبد الرحمن المعلمي، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط1، 1962م.

السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى (ت 489هـ/1096)، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط1، 1997م.

السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت 581هـ/1158م)، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية(7أجزاء)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1412هـ.

ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل(ت458هـ/638م) المخصص(5أجزاء)، تحقيق: خليل جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1996م.

ابن سينا، الحسين بن عبد الله (ت 428هـ/1036م)، القانون في الطب (3أجزاء، تحقيق: محمد أمين الضناوي، (د.ن)، (د.م)، (د.ط)، (د.ت).

الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن القرشي (ت 204هـ/820م)، مسند الإمام الشافعي(جزآن) تحقيق: محمد السندي وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1951م.

ابن شداد، أبو عبد الله عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم الحلبي (684هـ/1285م)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: دومنيك سورديل وسامي الدهان، المعهد الفرنسي، دمشق، (د.ط)، 1963م.

الشيباني،أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد (ت 189 هـ/804م)، الأَصْلُ(12جزء)، تحقيق، محمَّد بوينوكالن، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2012م.

الشيزري، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، أبو النجيب، جلال الدين العدوي الشافعي (ت نحو 590هـ/1194م) نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (د.م)، (د.ط)، (د.ت).

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك(764هـ/1362م)، الوافي بالوفيات(29ج)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2000م.

ابن الصيرفي، علي بن داوود إبراهيم الجوهري الصيرفي(900هـ/1494م)، أنباء الهصر بأنباء العصر، تحقيق: حسن حبشي، الهيئة المصرية للكتاب، ط2، 2002م.

الضبي، أبو جعفر أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة(ت 599هـ/1202م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة، (د.ط)، 1967م.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت 310هـ/923م)، تاريخ الرسل والملوك(11جزء)، دار التراث، بيروت، لبنان، ط2، 1986م.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت 310هـ/923م)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (24جزء)، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، (د.ط) (د.ت).

ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت 709هـ)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، بيروت لبنان، ط1، 1998م.

الظاهري، غرس الدين خليل بن شاهين(893هـ/1487م) زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق: بولس راويس، مطبعة الجمهورية، باريس، فرنسا، (د.ط)، 1894م.

العبدري، أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد الحيحي(ت700هـ/1300م)، رحلة العبدري، تحقيق: محمد الفاسي، وزارة الشؤون الثقافية الرباط، (د. ط)، 1968م.

ابن عبد الحق، صفيّ الدين عبد المؤمن، ابن شمائل القطيعي (ت739هـ/1339م)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (3أجزاء)، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1992م.

ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، (ت257هـ/871م)، فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، (د.م)، (د.ط)، 1994م.

ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي (ت 660هـ1261م)، بغية الطلب في تاريخ حلب(12جزء)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر (د.م)، (د.ط)، (د.ت).

العسقلاني، الشهاب الدين أحمد بن علي بن محمد(ت852هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، دار المعارف العثمانية، حيدر اباد، (د. ط)، 1929م.

العزيزي، الحسن بن أحمد المهلبي(ت 380هـ/990م)، الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك(جزء واحد)، تحقيق، تيسير خلف، (د.ط)، (.ت).

الحنبلي، مجير الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الحنبلي(ت 928هـ/1522م)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل(جزآن)، تحقيق: عدنان أبو تبانة، مكتبة دنديس، عمان، الأردن، (د.ط) (د.ت).

العمري، عصام الدين عثمان بن علي بن مراد (1134–1184هـ)، الروض النضر في ترجمة أدباء العصر (3أجزاء)، تحقيق: سليم النعيمي، المجمع العلمي العراقي، العراق، ط1، 1975م.

العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله(ت749هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (27ج)، تحقيق: كامل الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2010م.

العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله(ت749هـ)، التعريف بالمصطلح الشريف، مطبعة العاصمة، مصر، (د. ط)، 1312هـ/1895م.

عياض بن موسى بن فياض اليحصبي السبتي(ت 544هـ/1149م)، مشارق الأنوار على صحاح الآثار (جزآن)، المكتبة العتيقة ودار التراث، (د.م)، (د.ط)، (د.ت).

العياشي، أبو سالم عبد الله بن محمد(1051هـ/1641م)، الرحلة العياشية(2م)، تحقيق: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ابو ظبي، الامارات، ط1، 2006م.

الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت1061هـ/1650م)، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة(3أجزاء)، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997م.

ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني(ت 365هـ/1404م)، البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1996م.

ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني(340هـ/951م)، مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، هولندا، (د. ط)، 1884م.

الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت170هـ/786م)، كتاب العين(8أجزاء)، تحقيق، مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الهلال (د.م)، (د.ط)، (د.ت).

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر، تقويم البلدان(جزء واحد)، تحقيق: رينودوديسلان، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1840م.

ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد الشيباني (ت 723 هـ/1323م)، مجمع الآداب في معجم الألقاب(6أجزاء)، تحقيق: محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد، إيران، ط1، 1995م.

القرشي، سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر بن الوردي، البكري (852هـ/1448م)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق: أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، ط1، 2008م.

القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي (ت 671هـ/1272م)، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، تحقيق: أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

القزويني(ت682هـ/1283م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

ابن القلانسي، حمزة بن أسد بن علي بن محمد، أبو يعلى التميمي(ت: 555هـ)، تاريخ دمشق، تحقيق: سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1983م.

القطيعي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ابن شمائل(ت739هـ/1338م)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع(3أجزاء)، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991م.

القلقشندي، حمد بن علي بن أحمد الفزاري القاهري(ت821هـ/1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء(15جزء)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(د.ط)، (د.ت).

ابن قنفذ، أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب، أبو العباس القسنطيني، (ت 810هـ/1407م)، وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام، تحقيق: سليمان العيد المحامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1984م.

الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن(ت 764هـ)، فوات الوفيات(4أجزاء)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1974م.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي(ت774هـ/1372م)، البداية والنهاية(15جزء)، دار الفكر، (د.ط)، 1986م.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (ت774هـ/1372م)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999م.

اللخمي، ابن هشام (ت577هـ/1181م)، شرح الفصيح، تحقيق: هدي جاسم، ط1، 1988م.

ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت273هـ/886م)، سنن ابن ماجه(جزآن)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، (د.ط)، (د.ت).

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت 450هـ/1058م)، أعلام النبوة، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1988م.

ابن المبارك، عبد الله المروزي (ت 181هـ/797م) الزهد والرقائق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مجلس إحياء المعارف، ماليكاون، الهند، (د.ط)، (د.ت).

ابن المبرد، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي (ت 909هـ/1503م)، الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي(3أجزاء)، تحقيق، رضوان بن غربية، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1411هـ/1991م.

المغربي، السموأل بن يحيى بن عباس (ت نحو 570هـ/1174م)، بذل المجهود في إفحام اليهود، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1989م.

المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البشاري(ت380هـ/991م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 1991م.

المقدسي، المطهر بن طاهر (ت355هـ/966م)، البدء والتاريخ(6ج)، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، (د.ط)،(د.ت).

المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر(4أجزاء)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (د.ط)، 1968م.

مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب(ت421هـ/1030م)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم(7أجزاء)، تحقيق: أبو القاسم إمامي، سروش، طهران، ط2، 2000م.

مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (261هـ/874م)، صحيح مسلم(5أجزاء)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية القاهرة، (د.ط)، (د.ت)

المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر، (ت 845هـ/1445م):

- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، (15جزء) تحقيق، محمد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999م.
- المقفى الكبير(8أجزاء) تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2006م.

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار(4أجزاء)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م.

- النقود القديمة والإسلامية، مطبعة الجرائب، قسطنطينية، (د.ط)، 1880م.

المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني(ت 1014هـ/1605م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب(8أجزاء)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، لبنان، ط1، 1997م.

المناوي، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي(1031هـ/1621م)، النقود والمكاييل والموازين، تحقيق: رجاء السامرائي، دار الرشيد، بغداد، العراق، (د.ط)، 1981م.

المنجم، إسحاق بن الحسين(ت ق4هـ)، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408هـ.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين (ت 711هـ/1311م)، لسان العرب(15جزء)، تحقيق اليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1993م.

المنهاجي، شمس الدين محمد بن أحمد بن علي بن عبد الخالق، (ت 880هـ/1475م)، إتحاف الأخِصّا بفَضَائل المسجد الأقصى(جزءان)، تحقيق: أحمد رمضان أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، 1984م.

المهلبي، الحسن بن أحمد العزيزي (380هـ/990م)، المسالك والممالك، تحقيق: تيسير خلف، (د.ن)، (د.م)، (د.ط)،(د.ت)

ابن النديم، محمد بن اسحق(ت438هـ/1047م)، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د. ط)، (د.ت).

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت 676هـ/1277م)، تحرير ألفاظ التنبيه، تحقيق، عبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 1987م.

النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين (ت 733هـ/1332م) نهاية الأرب في فنون الأدب(33ج)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، 2002م.

ابن الهائم، شهاب الدين أبو العباس أحمد(ت815هـ/1412م)، نزهة النفوس في بيان المعامل بالفلوس، تحقيق: شكران خربوطلي، التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، (د.ط)، 2007م.

الهاشمي، صالح بن الحسين الجعفري أبو البقاء (ت668هـ/1270م)، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل(جزآن)، محمود قدح، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، ط1، 1998م.

ابن هشام، جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري(ت 213هـ/828م)، السيرة النبوية (جزءان)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، (د.م)، (د.ط)، (د.ت).

الهروي، أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي(ت611هـ/1215م)، الإشارات إلى معرفة الزيارات، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2002م.

ابن الوردي، أبو حفص عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، (ت 749هـ/1348م)، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 1996م.

ثانيا: المراجع:

أحمد، عزيز، تاريخ صقلية الإسلامية، ترجمة: أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، (د.م)، (د.ط) 1980م.

البار، علي محمد، القدس والمسجد الأقصى عبر التاريخ، (د.ن)، (د.م)، ط2، 2002م.

بارود، نعيم وصالحة، رائد، جغرافية فلسطين، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، (د.ط) 2016م.

البدور، سليمان علي، فلسطين في العهد الأموي الحياة الاقتصادية والمظاهر الاجتماعية، الأردن، وزارة الثقافة، (د.ط)، 2004م.

البرغوثي، يوسف، مدينة القدس التاريخ والحضارة، دار أمجد للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2015م.

برو، توفيق، تاريخ العرب القديم، دار الفكر، (د.م)، ط2، 2001م.

البلادي، عاتق بن غيث عطية بن صالح، معجم المعالم الجغرافية في السِّيرة النبوية، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط1، 1982م.

الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، كتاب محافظة الخليل السنوي(3)، رام الله، فلسطين،2011م.

حسن، زكي محمد، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت، (د.ط)، 1981م.

الحسيني، محمد باقر، تطور النقود الإسلامية، مكتبة الجاحظ، بغداد، العراق، ط1، 1969م.

الحميدي، عبد العزيز بن عبد الله، مواقف وعبر في معركة اليرموك، جامعة أم القرى، السعودية، ط1، 2013م.

حجازى، محمود فهمى، علم اللغة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ن)، (د.م)، (د.ط)، (د.ت).

حميدة، عبد الرحمن، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دار الفكر، دمشق، ط1، 1984م.

حسن، أسامة، الناصر محمد بن قلاوون، دار الأمل، (د.م)، (د.ط)، 1418هـ/1997م.

الخضري محمد، الدولة العباسية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1423هـ/2003م.

خطاب، محمد شتيت، بلاد ما وراء النهر، دار قتيبة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط4، 1990م،

الدباغ، مصطفى مراد، موسوعة بلادنا فلسطين، دار الهدى، كفر قرع، فلسطين، (د.ط)، 1991م.

الدوري، عبد العزيز، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، مطبعة دار المعارف، بغداد، العراق، (د.ط)، (د.ت).

رضا، أحمد، معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة) (5أجزاء)، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1958م.

رضا، محمد رشيد، مجلة المنار، المكتبة الشاملة.

الزركلي، خير الدين بن محمود، الإعلام(8مج)، دار العلم للملايين، (د.م)، ط15، 2002م.

الزحيلي، محمد، العلوم الإسلامية، دار المعرفة، دمشق، (د.ط)، (د.ت).

زيادة، نيقولا، الجغرافيا والرحلات عند العرب، دار الكتاب اللبناني، (د. ط)،1987.

زياد عبد الحميد، القدس الخالدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.م)، (د.ط)، 2000م.

السعدي، عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر، تاريخ السودان، المدرسة الباريزية لتدريس الألسنة الشرقية، باريس، فرنسا، (د. ط)،1981م.

السقار، منقذ بن محمود، التعايش مع غير المسلمين في المجتمع المسلم، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ط2006،1م.

شاكر، محمود، خراسان، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1978م.

شُرَّاب، محمد بن محمد حسن، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط1، 1990م.

صفوت، أحمد زكي، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، مصر، ط1، 1960-1995م.

طقوش، محمد سهيل، تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، دار النفائس، (د.م)، ط1، 2003م.

الطويل، يوسف العاصي إبراهيم، الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم (الجذور -الممارسة -سبل المواجهة)، صوت القلم العربي، مصر، ط2، 2010م.

ظاظا، حسن، القدس مدينة الله أم مدينة داوود، مطبعة جامعة الاسكندرية، مصر، (د. ط)،1970م.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (ت1393هـ)، التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

عبد الرحمن، محمد، قصة مدينة الخليل، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية، (د.م)، (د.ط)، (د.ت).

عبد اللطيف، عبد الشافى محمد، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، دار السلام، القاهرة، مصر، ط1، 1428هـ.

العبودي، محمد ناصر، جمهورية أذربيجان، مطابع الفرزدق الإسلامية، (د.م)، ط1، 1992م.

العدوي، أحمد عبد المنعم، الصابئة منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2012م.

عزت، يوسف باشا، تاريخ القوقاز، مطبعة عيسى البابي الحلبي، استنبول،1912م.

العسيري أحمد معمور، موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام إلى عصرنا الحاضر (د.ن)، (د.م)، ط1، 1996م.

العش، محمد أبو الفرج، النقود العربية الإسلامية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، الدوحة، ط3، 2003م.

عصفور، محمد أبو المحاسن، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

العقيقي، نجيب، المستشرقون، دار المعارف، مصر، ط3، 1964م.

علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، (د.م)، ط4، 2001م.

علي، كرد، محمد بن عبد الرزاق بن محمَّد، خطط الشام(6أجزاء)، مكتبة النوري، دمشق، سوريا، ط3، 1983م.

علي، علي السيد، القدس في العصر المملوكي، دار الفكر للدراسات والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1406هـ/1986م.

عمر، أحمد مختار عبد الحميد وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة(4أجزاء)، عالم الكتب، (د.م). ط1، 2008م.

عمران، محمود سعيد، الامبراطورية البيزنطية وحضارتها، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2002م.

غازي، خالد محمد، سيرة مدينة القدس، دار الهدى للنشر والتوزيع، المنيا، مصر، ط1، 1998م.

فايد، يوسف عبد المجيد، جغرافية المناخ والنبات، دار النهضة العربية، (د.ط)، (د.ت).

فهيم، حسين محمد، أدب الرحلات، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998م.

الفيومي، محمد إبراهيم، تاريخ الفكر الديني الجاهلي، دار الفكر العربي، (د.م)، ط4، 1994م.

الكرملي، ماري، النقود العربية وعلم النَّميَّات، المطبعة العصرية، القاهرة، (د.ط)، 1939م.

لحَّام، ماجد، عبد الله بن الزبير، دار القلم، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 1995م.

مأمون، جيهان ممدوح، الدولة الطولونية والإخشيدية في مصر، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2009م.

المبيض، سليم عرفات، النقود العربية وسكتها المدنية الأجنبية من القرن السادس قبل الميلاد وحتى عام1946م، الهيئة العامة المصرية للكتاب، (د.م)، (د.ط)، (د.ت).

المدني، رشاد، بيت المقدس في عيون الرحالة المسلمين والأجانب في القرنين الخامس والسادس الهجريين، بحث مقدم للمؤتمر الخامس لكلية الآداب، القدس تاريخا وثقافة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2011م.

المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المكتبة الشاملة.

المرصفي، سعد، الجامع الصحيح للسيرة النبوية(6أجزاء)، مكتبة ابن كثير، الكويت، ط1، 2009م.

هلال، جودة وصبح محمد، قرطبة في التاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1986م.

ثالثا: الرسائل الجامعية

امطير، محمد سامي أحمد، الحياة الاقتصادية في بيت المقدس وجوارها في فترة الحروب الصليبية، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2010م.

إسماعيل، مراد محمد، عصر أنطوخيوس الرابع(175-163ق.م)، رسالة دكتوراة في التاريخ القديم من جامعة دمشق، 2015م.

الدسوقى، رمضان مصطفى حسنين(ت 1433هـ/2011م)،جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس من القرن الثامن الهجري إلى العصر الحاضر، دكتوراة، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر، فرع المنصورة، 2004م.

السعايدة، محمد ابراهيم خليل، مدينة الخليل "دراسة في جغرافية المدن" رسالة ماجستير في الجغرافيا في كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، 2003م.

عادل، سوزان، الحضارة النطوفية، بحث منشور، مجلة مداد الكلمة، كلية الآداب، الجامعة العراقية، عدد خاص بالمؤتمرات، 2018-2019م.

عبد الجواد، شرين ثابت حسني: ألفاظ المقادير في العربية "دراسة في البنية والدلالة"، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2012م.

عيسى، خالد مطلق بكر، القيم الجمالية وهندسة العمارة في مسجد قبة الصخرة وسبل الاستفادة منها في العمارة المعاصرة، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2011م.

ابو لاوي، سائد رفيق، التصوف في القدس في العصر المملوكي، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2019م.

ناجي، حميدان، قبة الصخرة خلال العصرين الأيوبي المملوكي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، 2017م.

رابعا: المجلات المحكمة

البيتاوي، جبر خير، المقامات والمزارات في نابلس بين الموروث الديني والتراثي، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الفني الثالث، جامعة النجاح الوطنية، نابلس –فلسطين، 2011م.

أبو دية، عدنان أحمد: العناصر المعمارية وأصولها في مسجد قبة الصخرة، https://research.iugaza.edu.ps/files

سعيد، إبراهيم أحمد، إسهامات المقدسي في الجغرافية والدراسات الإقليمية، مجلة دراسات تاريخية/ العددان 117– 118 كانون الثاني/حزيران، 2012م.

الشاوي، عبد الهادي: رسائل شهاب الدين محمود الحلبي، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، م4، ع1–2، 2011م.

شرقي، علي عطية، الأمير عثمان بن عبد المؤمن دراسة في سيرته الذاتية، مجلة مداد للآداب، (ع12)، (د.ت).

شلوف نسيم والفراني عبد الحميد، النشاط الزراعي والصناعي في فلسطين في القرن(4هـ/10م) من خلال مصنفي المقدسي وخسرو، مجلة جامعة الأقصى، (م20)، (ع2)، (205–239)، يونيو، 2016م.

عياش، حسن، النواحي العمرانية لمدينة الخليل في كتب الرحالة والجغرافيين العرب، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، (ع1)، 2011م.

الغزيً، محمد فياض محمد، بحث منشور بعنوان الدواوين الفرعية في جند فلسطين من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية، مجلة جامعة تشرين للآداب والعلوم الإنسانية، (م41)، (ع5)، 2019م.

الفراني، عبد الحميد جمال، دور المماليك في الحفاظ على التراث العمراني للمدينة القدس، https://iugspace.iugaza.edu.ps

القططي، أريج أحمد، فلسطين في مجلة المنار، الجامعة الإسلامية، فلسطين، 2015م.

مسبوق سيد مهدي ودلشاد شهرام، التمظهرات الدينية في رحلة ابن جبير الأندلسي، آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية، السنة العشرون، (ع1)، (الصفحات من73–87)، ربيع وصيف1438هـ.

نعيرات، حسن محمد، خصائص العمارة والزخرفة الإسلامية في بيت المقدس، بحث منشور، مؤتمر يوم القدس العاشر، (د.ت).

هلالي، علي حسن، مقال لغويات، مجلة الرسالة، (ع1024)، (المكتبة الشاملة).

وشاح، غسان محمود والفراني، عبد الحميد جمال، دور كتب الجغرافية والرحلات الإسلامية في توثيق التراث العمراني في القدس في العصر الإسلامي بحث منشور، قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين (د.ت).

مهنا، حسن عبد الرحمن، الفنون والعمارة في الحرم الإبراهيمي في القرن العشرين، مجلة العمارة والفنون، ع12/ج2، (ب.ت).

النقيب، امتثال كاظم، المحاريب العراقية تاريخها أنواعها في العصر العباسي، مجلة التراث العلمي العربي، مركز احياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، العراق، (ع3)، 1438هـ/2017م.

خامسا: المراجع الأجنبية

إيفا وكانجيك وكيرشباوم، تاريخ الأشوريين القديم، ترجمة فاروق إسماعيل، دار الزمان، دمشق، سوريا، ط1، 2008م.

جونز، هيومارتن، مدن بلاد الشام حيث كانت ولاية رومانية، ترجمة إحسان عباس، ط1، عمان، دار الشروق، 1407هـ/1987م.

ديورانت، وليام، قصة الحضارة، ترجمة، زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت، لبنان، (د.ط) 1408هـ/1988م.

كراتشوفسكي، اغناطيوس يوليانوفتش، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، الإدارة الثقافية، جامعة الدول العربية، (د.ت).

كلوزييه، رينيه، تطور الفكر الجغرافي، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1985م.

لوبون، لوبون، حضارة العرب، عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للنشر والثقافة، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2012م.

متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد ابو ريد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط5، (د.ت).

An- Najah National University

Faculty of Graduate Studies

THE CITIES JERUSALEM AND HEBRON IN THE BOOKS OF ARAB AND MUSLIM TRAVELLERS AND GEOGRAPHERS UNTIL THE TENTH CENTURY A.H / SIXTEENTH CENTURY A.D

By

Ali Abduljabbar Mohammad Abo-Beh

Supervisor

Dr. Mohammed Othman Alkhateeb

This Thesis is submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of History, Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus, Palestine.

2023

THE CITIES JERUSALEM AND HEBRON IN THE BOOKS OF ARAB AND MUSLIM TRAVELLERS AND GEOGRAPHERS UNTIL THE TENTH CENTURY A.H / SIXTEENTH CENTURY A.D

By
Ali Abduljabbar Mohammad Abo-Beh
Supervisor
Dr. Mohammed Othman Alkhateeb

Abstract

This study sheds the light on both cities of Jerusalem and Hebron in the books of Arab and Muslim travellers and geographers until (10 AH/16 AD). Both cities were considered high geographic topography and they have exposed to the same historical conditions administratively and economically.

At that time, the rulers cared for Jerusalem more than their interest in Hebron due to the centrality of Jerusalem and the presence of various holy places in it. There was fluctuation between the relationship of the residents of Jerusalem and Hebron according to the policy of those rulers and their religious trends.

Accordingly, the most prominent aspects of civilization in Jerusalem and Hebron were attributed to water resources, roads and other facilities.

People in Jerusalem and Hebron have planted various sorts of crops. Also, orchards and gardens which were spread around the areas with different types of species. There were various industries which were spread in Jerusalem and Hebron.

The commercial movement was active in their markets and via the connected roads. Goods were transported via these roads from everywhere.

The currency exchanged between people differed according to different rulers who took over the period. A lot of mosques, religious lessons and ligaments spread in which religious scholars and students of forensic science resided there. Residents' references varied because they came from different areas and settled in both cities.

This study concluded that the interest of Arab geographers in Jerusalem and Hebron stemmed from their religious consideration and their narration of Islamic landmarks was

more detailed than any other landmarks. Muslim rulers paid more attention on Jerusalem and Hebron than any other cities because of their religious status by building mosques, schools, hospitals, religious rituals places and ligaments. This study revealed that the geographical sources didn't give specific details about the nature of roads or tracks but they mentioned distances. Many indications were left about the nature of economic life in Jerusalem and Hebron.

Keywords: Jerusalem, Hebron, Geographers, Travellers, Arabs and Muslims, The Tenth Century A.H, The Sixteenth Century A.D